

سورة الشعراء

هي مكية في قول الجمهور. وقال مقاتل: منها مدني؛ الآية التي يُذكر فيها الشعراء، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾^(١). وقال ابن عباس وقتادة: مكية إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة، من قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ إلى آخرها^(٢). وهي مثنان وسبع وعشرون آية^(٣). وفي رواية: ست وعشرون^(٤). وعن ابن عباس: قال النبي ﷺ: «أُعطيَت السورة التي تُذكر فيها البقرة من الذِّكْرِ الأوَّل، وأُعطيَت طه وطسم من ألواح موسى، وأُعطيَت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش، وأُعطيَت المُفَصَّل نافلة^(٥)». وعن البراء بن عازب، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَانِي السَّبْعَ الطُّوَالَ مَكَانَ التَّوَارَةِ، وَأَعْطَانِي الْمِثْنَينَ^(٦) مَكَانَ الْإِنْجِيلِ، وَأَعْطَانِي الطُّوَاسِينَ مَكَانَ الزَّبُورِ، وَفَضَّلَنِي بِالْحَوَامِيمِ وَالْمُفَصَّلِ مَا قَرَأَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي^(٧)».

(١) المحرر الوجيز ٢٢٤/٤.

(٢) النكت والعيون ١٦٣/٤، وزاد المسير ١١٤/٦.

(٣) تفسير البغوي ٣٧٩/٣.

(٤) تفسير الرازي ١١٩/٢٤.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٨٨/٤ إلى ابن مروديه. وأخرجه الطبراني في الكبير ٥٢٥/٢٠ من حديث معقل بن يسار ؓ، وفيه: «الطور» بدل «طسم». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٠/١: فيه عيب الله بن أبي حميد، أجمعوا على ضعفه.

(٦) في (م): المئين.

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٤/٥ إلى ابن نصر وابن مروديه من حديث أنس بن مالك ؓ. وأخرجه بغير هذا السياق أحمد (١٦٩٨٢) من حديث واثلة بن الأسقع ؓ. وقال السندي في حاشيته على المسند: المثنون: ما كان من سور القرآن عدد آية مئة آية أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص منها شيئاً يسيراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿طَسَّرَ ①﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ② لَعَلَّكَ بَلِغٌ قَشَّكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ③ إِنْ شَأْنًا نُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ④ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ⑤ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ⑥ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ فَقْجٍ كَرِيمٍ ⑦ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ⑧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑨

قوله تعالى: ﴿طَسَّرَ﴾ قرأ الأعمش ويحيى وأبو بكر والمفضل وحزمة والكسائي وخلف: بإمالة الطاء مُشْبَعًا في هذه السورة وفي أختيها^(١). وقرأ نافع وأبو جعفر وشيبة والزهرى: بين اللفظين، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم^(٢). وقرأ الباقون بالفتح مُشْبَعًا. قال الثعلبي: وهي كلها لغات فصيحة. وقد مضى في «طه»^(٣) قول النحاس في هذا. قال النحاس^(٤): وقرأ المدنيون^(٥) وأبو عمرو وعاصم والكسائي: «طسم» بإدغام النون في الميم، والقراء يقولون^(٦) بإخفاء النون^(٧). وقرأ الأعمش وحزمة:

(١) السبعة ص ٤٧٠، والتيسير ص ١٦٥ عن حمزة والكسائي، والنشر ٧٠/٢ عنهما وعن خلف، والبغوي ١١٤/٦ عن المفضل.

(٢) نقل ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٢٤/٤ عن أبي حاتم أنه اختار فتح الطاء.

(٣) ١٣-١٢/١٤.

(٤) في إعراب القرآن ١٧٣/٣.

(٥) هي قراءة نافع، أما قراءة أبي جعفر فهي بإظهار النون مثل قراءة حمزة الآتية. النشر ١٩/٢.

(٦) المثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في إعراب القرآن للنحاس ١٧٣/٣، والكلام منه، ووقع في غير (ظ): والقراء يقول.

(٧) يعني الإخفاء بمعناه اللغوي، وليس المراد الإخفاء الاصطلاحي. قال أبو البقاء العكبري في اللباب في علل البناء والإعراب ٤٦٩/٢: أصل الإدغام في اللغة الإخفاء والإحكام.

«طسين ميم» بإظهار النون^(١). قال النَّحَّاسُ: للنون الساكنة والتنوين أربعة أقسام عند سيبويه: يُبَيَّنَانِ عند حروف الحلق، وَيُدْغَمَانِ عند الرَّاءِ وَاللَّامِ وَالْمِيمِ وَالْوَاوِ وَالْيَاءِ، وَيُقْلَبَانِ ميماً عند الباءِ ويكونانِ من الخياشيم؛ أي: لا يُبَيَّنَانِ؛ فعلى هذه الأربعة الأقسام التي نصَّها سيبويه لا تجوز هذه القراءة؛ لأنَّه ليس هاهنا حرفٌ من حروف الحلق فُتِّبِنُ النون عنده، ولكن في ذلك وَجْهٌ: وهو أنَّ حروف المعجم حكمها أنَّ يُوقَفَ عليها، فإذا وُقِفَ عليها تَبَيَّنَتِ التَّوْنُ. قال الثعلبيُّ: الإدغام اختيار أبي عبيد وأبي حاتم قياساً على كلِّ القرآن، وإنَّما أظهرها أولئك للتبيين والتَّمكن، وأدغمها هؤلاء لمجاورتها حروف الفم. قال النَّحَّاسُ^(٢): وحكى أبو إسحاق في كتابه «فيما يُجرى وفيما لا يُجرى» أنَّه يجوز أن يُقال: «طسين ميم» بفتح النون وضَمِّ الميم، كما يُقال: هذا مَعْدِي كَرَبٌ.

وقال أبو حاتم: قرأ خالد: «طسين ميم».

ابن عباس: «طسم» قَسَمَ، وهو اسمٌ من أسماء الله تعالى^(٣)، والمُقَسَّمُ عليه: ﴿إِنْ شَأْنُ نَزَلِ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ﴾. وقال قتادة: اسمٌ من أسماء القرآن أقسم الله به. مجاهد: هو اسمُ السورة^(٤). الحسن^(٥): افتتاح السورة^(٦). الربيع: حساب مُدَّة قوم. وقيل: قارعة تُحَلُّ بقوم. «طسم» و«طس» واحد. قال:

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ بِأَنْ تُسْعِدَا وَالِدَمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ^(٧)

(١) قراءة حمزة في السبعة ص ٤٧٠، والتيسير ص ١٦٥.

(٢) في إعراب القرآن ٣/١٧٣-١٧٤، وينظر الكتاب ٤/٤٤٥ فما بعده.

(٣) أسماء الله عز وجل توقفية، يتوقف في إثباتها على ما صح من النصوص، ولم يثبت في ذلك نص.

(٤) النكت والعيون ٤/١٦٣، والوسيط ٣/٣٥٠، وتفسير البغوي ٣/٣٧٩. وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٧٣، والطبري ١٧/٥٤٢.

(٥) في (د) و(ز) و(م): ويحسن.

(٦) النكت والعيون ٤/١٦٣.

(٧) قائله المتنبي، وهو في ديوانه ص ٢٥٦. قال البرقوق في شرحه ٤/٤٣: أشجاه: أشده شجواً، من =

وقال القُرْطُبِيُّ: أقسم الله بَطَوْلِهِ وسنائه ومُلْكِهِ^(١). وقال عبد الله بن محمد بن عَقِيل: الطَّاءُ طَوْرُ سِنَاء، والسَّيْنُ إسْكَندَرِيَّة، والميمُ مَكَّة^(٢). وقال جعفر بن محمد بن عليّ: الطَّاءُ شَجَرَةُ طَوْبَى، والسَّيْنُ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، والميمُ مُحَمَّدٌ ﷺ^(٣). وقيل: الطَّاءُ من الطَّاهِر، والسَّيْنُ من القُدُّوس - وقيل: من السَّمِيع، وقيل: من السَّلَام - والميمُ من المَجِيد. وقيل: من الرَّحِيم. وقيل: من الْمَلِك^(٤). وقد مضى هذا المعنى في أول سورة «البقرة»^(٥). والطَّوَّاسِيمُ والطَّوَّاسِينُ سُورٌ في القرآن جُمِعَتْ على غير قياس. وأنشد أبو عُبيدة:

وبالطَّوَّاسِيمِ التي قد ثُلُثَتْ وبالحوامِيمِ التي قد سُبِّعَتْ
قال الجوهري: والصوابُ أن تُجْمَعَ بذواتٍ وتُضَافَ إلى واحد، فيُقال: ذوات طسم، وذواتُ حم^(٦).

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ رفع على إضمار مبتدأ، أي: هذه «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» التي كنتم وعدتم بها؛ لأنهم قد وعدوا في التوراة والإنجيل

= قولك: شجاني هذا الأمر، أي: أحزني. والطاسم: الطامس الدارس. بأن تسعدا: أي: تساعدا وتعاونوا. وسجم الدمع: سال وهطل. يخاطب خليليه اللذين عاهداه على أن يساعدها على البكاء عند ربيع الأحبة يقول لهما: إن وفاء كما بأن تساعداني على البكاء كهذا الربيع، فإن الربيع كلما تقادم عهده كان أشجى لزاثره وأشد لحزنه؛ لأنه لا يتسلّى به المحب، وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقُلّ إسعادكما لي على البكاء اشتدّ حزني، إذ لا أجد من أتسلّى به. ثم قال: والدمع أشفاه ساجمه، كأنه يقول: إن لي العذر في البكاء، أما أنتما فخلّيان، إذ لو كنتما محزونين مثلي لاستشفيتما بالدمع كما هو شأن المحزون مثلي.

(١) الوسيط ٣/٣٥٠، وتفسير البغوي ٣/٣٧٩، وزاد المسير ٦/١١٥.

(٢) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ١٩/١٣٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/١١٥ عن علي مرفوعاً.

(٣) مجمع البيان ١٩/١٣٧، وزاد المسير ٦/١١٥.

(٤) النكت والعيون ٤/١٦٤.

(٥) ١/٢٣٥.

(٦) الصحاح (حمم) و(طسم).

بأنزال القرآن^(١). وقيل: «تِلْكَ» بمعنى هذه^(٢).

﴿لَعَلَّكَ بَلِّغٌ نَفْسَكَ﴾ أي: قاتِلُ نفسك ومُهْلِكُها. وقد مضى في «الكهف»^(٣) بيانه. ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لتركهم الإيمان. قال الفراء^(٤): «أَنْ» في موضع نصب؛ لأنها جزاء. قال النحاس^(٥): «وَأِنَّمَا يُقَالُ: «إِنْ» مكسورة؛ لأنها جزاء، كذا المتعارف. والقول في هذا ما قاله أبو إسحاق في كتابه في القرآن؛ قال: «أَنْ» في موضع نصبٍ مفعولٍ من أجله، والمعنى: لَعَلَّكَ قَاتِلُ نفسك لتركهم الإيمان.

﴿إِنْ شَأْنُ نَزْلِ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ أي: معجزة ظاهرة وقدرة باهرة، فتصير معارفهم ضرورية، ولكن سبق القضاء بأن تكون المعارف نظرية. وقال أبو حمزة الثمالي في هذه الآية: بلغني أنَّ هذه الآية صوت^(٦) يُسَمَعُ من السماء في النصف من شهر رمضان، تخرج به العواتق من البيوت وتضيئ له الأرض^(٧). وهذا فيه بعد؛ لأنَّ المراد قريش لا غيرهم.

﴿فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ﴾ أي: فتظلُّ أعناقهم^(٨) ﴿لَمَّا خَضِعِينَ﴾ قال مجاهد: أعناقهم: كبارهم^(٩). وقال النحاس: ومعروف في اللغة؛ يقال: جاءني عُقُّ من الناس أي: رؤساء منهم. أبو زيد والأخفش: «أَعْنَاقُهُمْ» جماعاتهم؛ يقال: جاءني عُقُّ من الناس

(١) إعراب القرآن ١٧٤/٣.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٦١/٥.

(٣) ٣٤٨/١٠.

(٤) في معاني القرآن له ٢٧٥/٢.

(٥) في إعراب القرآن ١٧٤/٣.

(٦) في (م): بلغني أن لهذه الآية صوتاً. والمثبت من (ظ).

(٧) مجمع البيان ١٣٨/١٩.

(٨) إعراب القرآن ١٧٤/٣.

(٩) تفسير البغوي ٣٨١/٣.

أي: جماعة^(١). وقيل: إنما أراد أصحاب الأعناق، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه^(٢). وقال قتادة: المعنى: لو شاء لأنزل آيةً يذّلون بها، فلا يلوي أحدٌ منهم عُقْقه إلى معصية^(٣). ابن عباس: نزلت فينا وفي بني أمية، ستكون لنا عليهم الدّولة فتذّل لنا أعناقهم بعد معاوية. ذكره الثعلبي والغزنوي^(٤)، والله أعلم. وخاضعين وخاضعةٌ هنا سواء. قاله عيسى بن عمر واختاره المبرّد^(٥). والمعنى: إنهم إذا ذلّت رقابهم ذلّوا؛ فالإخبار عن الرقاب إخبارٌ عن أصحابها، ويسوغ في كلام العرب أن تترك الخبر عن الأول وتُخبر عن الثاني؛ قال الرازي:

طَوَّلَ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي طَوَيْنَ طُولِي وَطَوَيْنَ عَرْضِي^(٦)
فأخبر عن الليالي وترك الطول. وقال جرير^(٧):

أَرَى مَرَّ السَّنِينِ أَخَذَنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهِلَالِ
وإنما جاز ذلك؛ لأنّه لو أسقط مرّ وطول من الكلام لم يفسد معناه، فكذلك ردّ الفعل إلى الكناية في قوله: ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ﴾ لأنّه لو أسقط الأعناق لما فسد الكلام، ولأدّى ما بقي من الكلام عنه حتى يقول: فظلّوا لها خاضعين. وعلى هذا اعتمد الفراء وأبو عبيدة^(٨). والكسائي يذهب إلى أنّ المعنى: خاضعيها هم، وهذا خطأ عند البصريين والفراء. ومثل هذا الحذف لا يقع في شيء من الكلام. قاله النحاس^(٩).

(١) معاني القرآن للنحاس ٦٢/٥ - ٦٣.

(٢) النكت والعيون ١٦٥/٤.

(٣) تفسير البغوي ٣/٣٨٠. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٧٣/٢، والطبري ١٧/٥٤٤-٥٤٥.

(٤) وذكره الطبرسي في مجمع البيان ١٩/١٣٨.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٦٣/٥. واختيار المبرّد في الكامل ٢/٦٦٨.

(٦) قائله الأغلب العجلي، وهو في خزنة الأدب ٤/٢٢٦.

(٧) في ديوانه ٢/٥٤٦، وقد سلف ٩/٣٠٤.

(٨) معاني القرآن للفراء ٢/٢٧٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٨٣.

(٩) في معاني القرآن له ٥/٦٢ و ٦٥.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَبَّرٌ إِلَّا أَكُنُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ تقدم في «الأنبياء»^(١). ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ أي: أعرضوا، ومن أعرض عن شيء ولم يقبله فهو تكذيب له. ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وعيد لهم، أي: فسوف يأتيهم عاقبة ما كذبوا والذي استهزؤوا به.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زوجٍ كَرِيمٍ﴾ نبتة على عظمتها وقدرته وأنهم لو رأوا بقلوبهم ونظروا ببصائرهم لعلموا أنه الذي يستحق أن يعبد؛ إذ هو القادر على كل شيء. والزوج: هو اللون. قاله الفراء^(٢). و«كريم»: حسن شريف، وأصل الكرم في اللغة: الشرف والفضل، فنخلة كريمة أي: فاضلة كثيرة الثمر، ورجل كريم: شريف فاضل صفوح^(٣). ونبتت الأرض وأنبتت بمعنى. وقد تقدم في سورة «البقرة»^(٤)، والله سبحانه هو المخرج للنبات^(٥) والمُنْبِتُ له. وروي عن الشعبي أنه قال: الناس من نبات الأرض، فمن صار منهم إلى الجنة فهو كريم، ومن صار إلى النار فهو لثيم^(٦).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: فيما ذكر من الإنبات في الأرض؛ لدلالته على أن الله قادر، ولا يُعجزه شيء^(٧). ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: مُصَدِّقِينَ لما سبق من علمي فيهم. و«كَانَ» هنا صلة في قول سيبويه^(٨)؛ تقديره: وما أكثرهم مؤمنين. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ يُريد: المنيع المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه^(٩).

(١) ١٧٢-١٧١/١٤.

(٢) في معاني القرآن له ٢٧٨/٢.

(٣) إعراب القرآن ١٧٤/٣.

(٤) بل في سورة النحل ٢٩٢/١٢.

(٥) كلمة «للنبات» ليست في (م).

(٦) معاني القرآن للنحاس ٦٦/٥.

(٧) الوسيط ٣٥١/٣.

(٨) الكتاب ٧٣/١.

(٩) تفسير البغوي ٣٨٢/٣.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ١١ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَايَ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ١٣ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِمَا تُبْتَغَانِ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ «إِذْ» في موضع نصب؛ والمعنى: وائل عليهم ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ ويدل على هذا أن بعده: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأًا بِإِزْمِيرٍ﴾ ذكره النَّحَّاس^(١). وقيل: المعنى: واذكر إذ نادى، كما صرح به في قوله: ﴿وَأَذْكُرْ لَنَا عَادٍ﴾ [الأحقاف: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [ص: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦]. وقيل: المعنى: «وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ» كان كذا وكذا. والنداء: الدعاء بيا فلان، أي: قال ربك: يا موسى ﴿أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ثم أخبر مَنْ هم، فقال: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ فـ «قَوْمَ» بدل^(٢)، ومعنى «أَلَا يَتَّقُونَ»: أَلَا يخافون عقاب الله؟ وقيل: هذا من الإيماء إلى الشيء؛ لأنه أمره أن يأتي القوم الظالمين، ودل قوله: «يَتَّقُونَ» على أنهم لا يتقون، وعلى أنه أمرهم بالتقوى. وقيل: المعنى: قل لهم: «أَلَا تَتَّقُونَ» وجاء بالياء؛ لأنهم غيَّب وقت الخطاب، ولو جاء بالياء لجاز. ومثله: ﴿قُلْ لِلذِّبِّ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ [آل عمران: ١٢] بالياء والياء^(٣). وقد قرأ عبيد بن عمير وأبو حازم: «أَلَا تَتَّقُونَ» بياء^(٤)، أي: قل لهم: «أَلَا تَتَّقُونَ». ﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي: قال موسى^(٥): ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ أي: في الرسالة والنبوة.

(١) في إعراب القرآن ٣/ ١٧٥ .

(٢) إعراب القرآن ٣/ ١٧٥ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) ورويت هذه القراءة عن عبد الله بن مسلم وحماد بن سلمة وأبي قلابة كما في المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٦ ، والمحتسب ٢/ ١٢٧ ، والشاذة ص ١٠٦ .

(٥) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٢ .

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ لتكذيبهم إياي^(١). وقراءة العامة «وَيَضِيقُ» وَلَا يَنْطَلِقُ بالرفع على الاستثناف^(٢). وقرأ يعقوب وعيسى بن عمر وأبو حيوة: «وَيَضِيقُ» وَلَا يَنْطَلِقُ بالنصب فيهما ردًا على قوله: «أَنْ يُكَذِّبُونِ»^(٣). قال الكسائي: القراءة بالرفع؛ يعني في ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ من وجهين: أحدهما الابتداء، والآخر بمعنى: وإني يضيق صدري ولا ينطلق لساني، يعني: نسقًا على «إِنِّي أَخَافُ»^(٤). قال الفراء: ويُقرأ بالنصب^(٥). حُكِيَ ذلك عن الأعرج وطلحة وعيسى بن عمر، وكلاهما له وجه. قال النَّحَّاس: الوجه الرفع؛ لأنَّ النَّصْبَ عطفٌ على «يُكَذِّبُونِ» وهذا بعيدٌ يدلُّ على ذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَحْلَلْتُ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧-٢٨] فهذا يدلُّ على أن هذا^(٦) كذا^(٧). ومعنى، ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ في المُحَاجَّةِ على ما أُحِبُّ؛ وكان في لسانه عُقْدَةٌ على ما تقدَّم في «طه»^(٨). ﴿فَأَرْسِلْ إِنْ هَرُونَ﴾ أُرْسِلْ إليه جبريل بالوحي، واجعله رسولاً معي ليؤازرنِي ويظَاهِرَنِي ويُعَاوَنَنِي^(٩). ولم يذكرْ هنا لِيُعِينَنِي؛ لأنَّ المعنى كان معلوماً، وقد صرَّح به في سورة «طه» [الآية: ٢٩]: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ وفي القصص [الآية: ٣٤]: ﴿أَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾، وكأنَّ موسى أذن له في هذا السؤال، ولم يكن ذلك استعفاءً من الرسالة، بل طلبٌ مَنْ يُعِينُهُ. ففي هذا دليلٌ على أنَّ مَنْ لَا يَسْتَقِيلُ بِأَمْرِ، ويخافُ من نفسه تقصيراً، أن يأخذَ مَنْ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَا

(١) تفسير الطبري ١٧/٥٥٢، وتفسير البغوي ٣/٣٨٢، وزاد المسير ٦/١١٨.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/٤٧١.

(٣) قراءة يعقوب في النشر ٢/٣٣٥.

(٤) إعراب القرآن ٣/١٧٥.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٢٧٨ ورجع وجه الرفع.

(٦) في (م): هذه.

(٧) إعراب القرآن ٣/١٧٥.

(٨) ٥١/١٤ - ٥٢.

(٩) الوسيط ٣/٣٥١ بنحوه.

يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ لَوْمٌ.

﴿وَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ الذنبُ هنا قتلُ القبطي^(١)، واسمه فاثور على ما يأتي في «القصص» بيانه^(٢)، وقد مضى في «طه» ذِكْرُهُ^(٣). وخاف موسى أن يقتلوه به، ودلَّ على أنَّ الخوفَ قد يصحبُ الأنبياءَ والفضلاء والأولياءَ مع معرفتهم بالله، وأنَّ لا فاعِلَ إلا هو؛ إذ قد يُسلَّطَ من شاء على من شاء.

﴿قَالَ كَلَّا﴾ أي: كَلَّا لن يقتلوك. فهو رَدُّعٌ وَزَجْرٌ عن هذا الظن^(٤)، وأمرٌ بالثَّقة بالله تعالى؛ أي: ثِقْ بالله، وانزجرْ عن خوفك منهم؛ فإنَّهم لا يقدرُونَ على قَتْلِكَ، ولا يَقْوُونَ عليه. ﴿فَإَذْهَبَا﴾ أي: أنت وأخوك، فقد جعلته رسولا معك. ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ﴾ أي: ببراهيننا وبالمعجزات. وقيل: أي: مع آياتنا. ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ يريدُ نفسه سبحانه وتعالى. ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ أي: سامعون ما يقولون وما يُجاوبون^(٥). وإنَّما أرادَ بذلك تقويةَ قلبيهما وأنه يُعِينُهُما ويحفظُهُما. والاستماعُ إنما يكون بالإصغاء، ولا يُوصَفُ البارِي سبحانه بذلك^(٦). وقد وصفَ سبحانه نفسه بأنَّه السَّمِيعُ البصير. وقال في «طه» [الآية: ٤٦]: ﴿أَسْمِعْ وَارْأَيْ﴾ وقال: «مَعَكُمْ» فأجراهما مَجْرَى الجمع؛ لأنَّ الاثنين جماعة^(٧). ويجوزُ أن يكونَ لهما ولمن أرسلا إليه. ويجوزُ أن يكونَ لجميع بني إسرائيل^(٨).

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٢.

(٢) ٢٥٩/١٣ وما بعده.

(٣) ٦٠/١٤ وما بعده.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٥.

(٥) الوسيط ٣/ ٣٥١.

(٦) تفسير الرازي ٢٤/ ١٢٤.

(٧) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٢.

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٧ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ تُزَكِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبْدَتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال أبو عبيدة: رسول بمعنى رسالة^(١)، والتقديرُ على هذا: إِنَّا دَوُو رسالة ربِّ العالمين. قال الهذلي: أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرُّسُو لِي أَعْلَمُهُمْ بَنَوَاحِي الْخَبَرِ^(٢) أَلِكْنِي إِلَيْهَا معناه: أُرْسِلْنِي. وقال آخر: لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُحْتُ عَنْهُمْ بِسِرٍّ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ^(٣) آخر: أَلَا أَبْلِغُ بَنِي عَمْرٍو رَسُولاً بِأُنِّي عَنْ فُتَاخَتِكُمْ غَنِيٌّ^(٤) وقال العباس بن مرداس: أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي خُفَافاً رَسُولاً بَيْتُ أَهْلِكَ مُنْتَهَاهَا^(٥) يعني رسالة؛ فلذلك أنْتَهَا. قال أبو عبيدة^(٦): ويجوز أن يكون الرسولُ في معنى

(١) مجاز القرآن ٨٤/٢.

(٢) الهذلي: هو أبو ذؤيب، والبيت في ديوان الهذليين ١٤٦/١. قوله: أعلمهم بنواحي الخبر، أي: يعرف شواكل الأمور.

(٣) قائله كثير عزة، وهو في ديوانه ص ٢٧٨، وفيه «ليلي» بدل «بسِرٍّ» و«رسيل» بدل «رسول». قال ابن عبد البر في بهجة المجالس ٢٧٧/١: يروى بالوجهين.

(٤) قائله الأسعر الجعفي، وهو في اللسان (فتح) وفيه: «بني بكر بن عبد» بدل «بني عمرو رسولاً»، وفي تاج العروس (فتح) وفيه: «أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ» بدل «أَلَا أَبْلِغُ بَنِي»، ووقع في النسخ الخطية: «أَبَا» بدل «بَنِي».

(٥) هو الحماسة البصرية ١٣/١، وخزانة الأدب ٣٦٧/٤.

(٦) في (د) و(ز) و(م): أبو عبيد.

الاثنين والجمع؛ تقول العرب: هذا رسولي ووكلي، وهذان رسولي ووكلي، وهؤلاء رسولي ووكلي. ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَنَّهُمْ عُدُوِّي﴾ [الشعراء: ١٧٧]. وقيل: معناه: إنَّ كلَّ واحدٍ منَّا رسولُ ربِّ العالمين. ﴿أَن أَرْسِلَ مَعًا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أطلقهم وخلَّ سبيلهم حتى يسيروا معنا إلى فلسطين ولا تستعبدهم، وكان فرعونُ استعبدهم أربعَ مئةِ سنة، وكانوا في ذلك الوقت ستَّ مئةِ ألفٍ وثلاثين ألفاً. فانطلقا إلى فرعون فلم يؤدِّنْ لهما سنةً في الدخول عليه، فدخلَ البوابُ على فرعون فقال: ها هنا إنسانٌ يزعمُ أنَّه رسولُ ربِّ العالمين. فقال فرعون: ائذن له لعلنا نضحكُ منه. فدخل على وأدَّى الرسالة^(١). وروى وَهْبٌ وغيره: أنَّهما لما دخلا على فرعون وجداه وقد أخرج سباعاً من أسدٍ ونمورٍ وفهودٍ يتفرَّج عليها، فخاف سؤاُسُها أن تبطشَ بموسى وهارون، فأسرعوا إليها، وأسرعَتِ السِّباعُ إلى موسى وهارون، فأقبلت تلحسُ أقدامَهما، وتُبصِّصُ إليهما بأذنانِهما، وتُلصِقُ خدودَها بفخذيَّهما، فعجِبَ فرعونُ من ذلك فقال: ما أنتما؟ قالا: «إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» فعرف موسى؛ لأنَّه نشأ في بيته.

ف ﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكْ مِنَّا وَلِيدًا﴾ على جهة المنِّ عليه والاحتقار، أي: ربِّناكَ صغيراً ولم نقتلك في جملة من قتلنا ﴿وَلَبِثْتَ مِنَّا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ فمتى كان هذا الذي تدَّعيه؟ ثم قرَّره بقتل القبطي بقوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ﴾ والفعلُ بفتح الفاء: المرَّةُ من الفعل^(٢). وقرأ الشَّعْبِيُّ: «فَعَلْتَكِ» بكسر الفاء^(٣)، والفتح أولى؛ لأنَّها للمرَّة الواحدة، والكسرُ بمعنى الهيئة والحال، أي: فَعَلْتَكِ التي تُعرَفُ، فكيف تدَّعي مع علمنا أحوالك بأنَّ الله أرسلَكَ؟ وقال الشاعر:

كَأَنَّ مِشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثُ وَلَا عَجَلُ^(٤)

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٢ - ٣٨٣.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٧.

(٣) المحتسب ٢/ ١٢٧، والشاذة ص ١٠٦.

(٤) قائله الأعشى، وهو في ديوانه ص ٦.

ويقال: كان ذلك أيام الردة والردة^(١). ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قال الضحّاك: أي: في قتلِكَ القبطي؛ إذ هو نفس لا يحلُّ قتلُه. وقيل: أي: بنعمتي التي كانت لنا عليك من التربية والإحسان إليك. قاله ابنُ زيد^(٢). الحسن: «مِنَ الكافرين» في أني إلهُك. السُّدي: «مِنَ الكافرين» بالله؛ لأنَّك كنتَ معنا على ديننا هذا الذي تَعْبِيهِ^(٣). وكان بين خروج موسى عليه السلام حين قتل القبطي وبين رجوعه نبياً أحدَ عشرَ عاماً غيرَ أشهر^(٤). ف ﴿قَالَ فَعَلْنَهَا إِذَا﴾ أي: فعلتُ تلكَ الفعلةَ يُريدُ قتلَ القبطي ﴿وَأَنَا﴾ إذ ذاك ﴿مِنَ الضَّالِّينَ﴾ أي: من الجاهلين^(٥)، فنفى عن نفسه الكفر، وأخبر أنَّه فعلَ ذلك على الجهل^(٦). وكذا قال مجاهد؛ «مِنَ الضَّالِّينَ»: من الجاهلين^(٧). ابن زيد: من الجاهلين بأنَّ الوَكْزَةَ تَبْلُغُ القتلَ^(٨). وفي مصحف عبد الله: «مِنَ الجاهِلين»، ويُقال لِمَن جَهِلَ شيئاً: ضلَّ عنه^(٩). وقيل: «وأنا مِنَ الضَّالِّينَ»: من النَّاسين. قاله أبو عبيدة^(١٠). وقيل: «وأنا مِنَ الضَّالِّينَ» عن النبوة^(١١) ولم يأتني عن الله فيه شيء^(١٢)، فليس عليَّ فيما فعلتُه في تلك الحالة توبيخٌ. ويَبَيِّنُ بهذا أنَّ التربيةَ فيهم لا تُنافي النبوةَ والحِلْمَ على

(١) من قوله: وقرأ الشعبي... إلى هذا الموضع في معاني القرآن للنحاس ٦٩/٥.

(٢) المحرر الوجيز ٢٢٧/٤ بنحوه.

(٣) تفسير البغوي ٣/٣٨٣. وأخرج الطبري ١٧/٥٥٦ قول السدي.

(٤) المحرر الوجيز ٢٢٧/٤.

(٥) زاد المسير ١١٩/٦.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٨٦/٤.

(٧) تفسير مجاهد ٢/٤٥٩، وأخرجه عنه الطبري ١٧/٥٥٨.

(٨) المحرر الوجيز ٢٢٨/٤.

(٩) تفسير الطبري ١٧/٥٥٧ - ٥٥٨.

(١٠) نقله عنه النحاس في معاني القرآن ٥/٧١، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢٢٨/٤، وابن الجوزي

في زاد المسير ١١٩/٦.

(١١) النكت والعيون ٤/١٦٧.

(١٢) الوسيط ٣/٣٥٢.

الناس، وأنَّ القتلَ خطأً، أو في وقتٍ لم يكن فيه شرعٌ لا يُنافي النبوةَ.

قوله تعالى: ﴿فَفَزَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أي: خرجتُ من بينكم إلى مَدين^(١) كما في سورة «القصص» [الآية: ٢١]: ﴿لَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ وذلك حين القتل. ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ يعني النبوةَ. عن السُّدِّيِّ وغيره^(٢). الرَّجَّاجُ: تعليمه^(٣) التوراة التي فيها حكم الله^(٤). وقيل: علماً وفهماً^(٥). ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ اختلف الناسُ في معنى هذا الكلام، فقال السُّدِّيُّ والطَّبْرِيُّ والفرَّاءُ: هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الإقرار بالنعمة، كأنه يقول: نعم، وتربيتُك نعمةً عليّ من حيث عَبَّدَتْ غييري وتركنتي، ولكن لا يدفعُ ذلك رسالتي^(٦). وقيل: هو من موسى عليه السلام على جهة الإنكار، أي: أتمنُّ عليّ بأن ربيَّتني وليداً وأنتَ قد استعبَدْتَ بني إسرائيل وقتلتهم؟! أي: ليست بنعمة؛ لأنَّ الواجبَ كان ألا تقتُلهم ولا تستعبدَهم فإنَّهم قومي، فكيف تذكرُ إحسانَكَ إليّ على الخصوص؟! قال معناه قتادة وغيره^(٧). وقيل: فيه تقديرُ استفهام، أي: أو تِلْكَ نعمةٌ؟ قاله الأخفش والفرَّاءُ أيضاً^(٨)، وأنكره النَّحَّاس وغيره. قال النَّحَّاس^(٩): وهذا لا يجوز، لأنَّ أَلِفَ الاستفهام تُحْدِثُ معنى، وحذفُها مُحَالٌ،

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٣.

(٢) أخرجه الطبري ١٧/ ٥٥٩ عن السدي، وذكره أبو الليث في تفسيره ٢/ ٤٧٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٢٠ عن ابن السائب الكلبي.

(٣) في (م): تعليم.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٨٦.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٥٢، وأبو الليث ٢/ ٤٧٢، والبغوي ٣/ ٣٨٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٢٠ عن مقاتل.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨. وينظر تفسير الطبري ١٧/ ٥٥٩، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٩.

(٧) ينظر تفسير الطبري ١٧/ ٥٦١، وتفسير أبي الليث ٢/ ٤٧٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٨.

(٨) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٥ - ٦٤٦، وقول الفرَّاء نقله عنه النحاس كما سيأتي قريباً.

(٩) في إعراب القرآن ٣/ ١٧٦ - ١٧٧.

إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ أَمْ، كما قال الشاعر:

تَرُوحُ مِنَ الْحَيِّ أَنْ تَبْتَكَرَ^(١)

ولا أعلم بين النحويين اختلافاً في هذا، إلا شيئاً قاله الفراء؛ قال: يجوز حذف ألف الاستفهام في أفعال الشك، وحكي: تُرى زيدا مُنطلقاً؟ بمعنى: أترى. وكان علي بن سليمان يقول في هذا: إنما أخذه من ألفاظ العامة.

قال الثعلبي: قال الفراء: ومن قال: إنها إنكار قال: معناه: أو تلك نعمة؟ على طريق الاستفهام، كقوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] ﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. قال الشاعر:

رَفُونِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لَا تُرْعَ فقلتُ وأنكرتُ الوجوه هُم هُم^(٢)
وأنشد الغزنوي شاهداً على ترك الألف قولهم:

لَمْ أَنْسَ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَقَفَّتْهَا وَجَفَّتْهَا مِنْ دُمُوعِهَا شَرِقُ
وقولها وَالرُّكَّابُ واقفة تركتني هكذا وتَنطَلِقُ

قلت: ففي هذا حذف ألف الاستفهام مع عدم أم خلاف قول النحاس. وقال الضحاك: إن الكلام خرج مخرج التبكي، والتبكي يكون باستفهام وبغير استفهام^(٣)، والمعنى: لو لم تقتل بني إسرائيل لرَبَّاني أبوي، فأأي نعمة لك علي؟! فأنت تمنُّ علي بما لا يجب أن تمنَّ به. وقيل: معناه: كيف تمنُّ علي^(٤) بالترية وقد أهنت قومي؟ ومن أهين قومه دَلَّ^(٥). و«أَنْ عَبَّدْتَ» في موضع رفع على البدل من «نِعْمَةً». ويجوز أن تكون في موضع نصب بمعنى: لِأَنْ عَبَّدْتَ بني إسرائيل^(٦)، أي:

(١) هذا صدر بين عجزه: «وماذا يضيرك لو تُنتظر»، وقائله امرؤ القيس، وقد سلف ٢٨٣/١.

(٢) قائله أبو خراش الهذلي، وقد سلف ٤٦٩/٦.

(٣) إعراب القرآن ١٧٧/٣.

(٤) كلمة «علي» ليست في (م).

(٥) تفسير البغوي ٣٨٤/٣.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٨٧/٤.

اتَّخَذْتَهُمْ عِبِيداً^(١). يُقال: عَبْدَتَهُ وأَعْبَدَتَهُ بمعنى. قاله الفراء^(٢)، وأنشد:

عَلَامٌ يُعْبِدُنِي قَوْمِي وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمْ أَبَاعِرُ مَا شَاؤُوا وَعِبْدَانُ^(٣)

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٢) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٣) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ (٢٤) قَالَ رِجْزُكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٦) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٧) قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٨) قَالَ أُولُو حِجَّتِكَ يَشْئُرُ مُبِينٌ (٢٩) قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٠) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣١) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيْضَاءُ لِلنَّظَرِينَ (٣٢) قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٣) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٤) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الدِّيَارِ حَشِيرِينَ (٣٥) بَاتُوا كُلَّ سَحَارٍ عَلِيمٍ (٣٦) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٧) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٨) لَعَلَّآ نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ (٣٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤٠) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرِقِينَ (٤١) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَقْرَأُوا مَا أَنْتُمْ مُتْلِفُونَ (٤٢) فَأَلْفَوْا جِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٣) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٤) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٦) قَالَ آمَنْتُمْ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٧) قَالُوا لَا ضَرَّ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٤٨) إِنَّا نَنْطَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٩)

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لَمَّا غَلَبَ مُوسَى فِرْعَوْنَ بِالْحُجَّةِ وَلَمْ

(١) مجاز القرآن ٢/ ٨٥ .

(٢) في معاني القرآن له ٢/ ٢٧٩ .

(٣) قائله الفرزدق، وهو في اللسان (عبد).

يجد اللعين من تقريره على الترية وغير ذلك حجة رجع إلى معارضة موسى في قوله: «رسول رب العالمين» فاستفهمه استفهاماً عن مجهول من الأشياء . قال مكّي وغيره: كما يُستفهم عن الأجناس؛ فلذلك استفهم بـ «ما». قال مكّي: وقد ورد له استفهام بـ «من» في موضع آخر، ويُشبه أنها مواطن، فأتى موسى بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته التي لا يُشاركه فيها مخلوق، وقد سأل فرعون عن الجنس ولا جنس لله تعالى؛ لأن الأجناس محدثة، فعلم موسى جهله، فأضرب عن سؤاله، وأعلمه بعظيم قدرة الله التي تُبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها. فقال فرعون: ﴿أَلَا سَمِعْتُمْ﴾ على معنى الإغراء والتعجب من سفه المقالة إذ كانت عقيدة القوم أن فرعون ربهم ومعبودهم، والفراعنة قبله كذلك. فزاد موسى في البيان بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(١) فجاء بدليل يفهمونه عنه؛ لأنهم يعلمون أنه قد كان لهم آباء، وأنهم قد فنوا، وأنه لا بُدَّ لهم من مُعَيَّر، وأنهم قد كانوا بعد أن لم يكونوا، وأنهم لا بُدَّ لهم من مُكوّن^(٢). فقال فرعون حينئذ على جهة الاستخفاف: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾^(٣) أي: ليس يجيبني عما أسأل، فأجابه موسى عليه السلام عن هذا بأن قال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أي^(٤): ليس ملكه كملكك؛ لأنك إنما تملك بلداً واحداً لا يجوز أمرُك في غيره، ويموت من لا تُحب أن يموت، والذي أرسلني يملك المشرق والمغرب ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٥). وقيل: علم موسى عليه السلام أن قصده في السؤال معرفة مَنْ سأل عنه، فأجاب بما هو الطريق إلى معرفة الرب اليوم.

ثم لما انقطع فرعون - لعنه الله - في باب الحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب، فتوعد موسى بالسجن، ولم يقل: ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك؛ لأن فيه

(١) المحرر الوجيز ٢٢٨/٤ - ٢٢٩ .

(٢) إعراب القرآن ١٧٨/٣ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٢٩/٤ .

(٤) في (م): إن .

(٥) إعراب القرآن ١٧٨/٣ .

الاعتراف بأنَّ ثَمَّ إِلَهًا غَيْرَهُ. وفي تَوَعُّدِهِ بِالسَّجْنِ ضَعْفٌ . وكان فيما يُرَوَّى أَنَّهُ يَفْرَعُ مِنْهُ فِرْعَا شَدِيداً حَتَّى كَانَ اللَّعِينُ لَا يُمَسِّكُ بَوْلَهُ. وَرَوِيَ أَنَّ سَجْنَهُ كَانَ أَشَدَّ مِنَ الْقَتْلِ. وكان إِذَا سَجَنَ أَحَدًا لَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ سَجْنِهِ حَتَّى يَمُوتَ، فَكَانَ مَخُوفًا. ثُمَّ لَمَّا كَانَ عِنْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا يُرْغُهُ تَوَعُّدُ فِرْعَوْنَ ﴿قَالَ﴾ لَهُ عَلَى جِهَةِ اللَّطْفِ بِهِ وَالطَّمَعِ فِي إِيمَانِهِ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ فَيَتَّضِعُ لَكَ بِه صَدَقِي. فَلَمَّا سَمِعَ فِرْعَوْنَ ذَلِكَ طَمِعَ فِي أَنْ يَجِدَ أَثْنَاءَهُ مَوْضِعَ مَعَارِضَةٍ ﴿فَقَالَ﴾ لَهُ: ﴿فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(١). وَلَمْ يَحْتَجِ الشَّرْطُ إِلَى جَوَابٍ عِنْدَ سَيَبُويَه؛ لِأَنَّ مَا تَقَدَّمَ يَكْفِي مِنْهُ^(٢). ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾ مِنْ يَدِهِ فَكَانَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ مِنْ قِصَّتِهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ وَشَرْحُهُ فِي «الْأَعْرَافِ»^(٣) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ. وَقَالَ السَّحْرَةُ لَمَّا تَوَعَّدَهُمْ فِرْعَوْنُ بِقَطْعِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ: ﴿لَا صَبْرَ﴾ أَي: لَا ضَرَرَ عَلَيْنَا فِيمَا يَلْحَقُنَا مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا^(٤)، أَي: إِنَّمَا عَذَابُكَ سَاعَةً فَنَصْبِرُ لَهَا وَقَدْ لَقِينَا اللَّهَ مُؤْمِنِينَ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ اسْتَبْصَارِهِمْ وَقُوَّةِ إِيمَانِهِمْ.

قَالَ مَالِكٌ: دَعَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِرْعَوْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ السَّحْرَةَ آمَنُوا بِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ^(٥). يُقَالُ: لَا ضَيْرَ وَلَا ضُورَ وَلَا ضَرَّ وَلَا ضَرَرٌ وَلَا ضَارُورَةٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. قَالَ الْهَرَوِيُّ^(٦). وَأَنشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ:

فَإِنَّكَ لَا يَضُورُكَ بَعْدَ حَوْلٍ أَظْبِي كَانَ أُمُّكَ أَمَّ حِمَارٍ^(٧)

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ^(٨): ضَارَهُ يَضُورُهُ وَيَضِيرُهُ ضَيْرًا وَضُورًا، أَي: ضَرَّهُ. قَالَ

(١) المحرر الوجيز ٢٢٩/٤ .

(٢) إعراب القرآن ١٧٨/٣ .

(٣) ٢٩٩-٢٩٢/٩ .

(٤) الوسيط ٣٥٣/٣ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٤٢٣/٣ .

(٦) وقاله الزجاج في معاني القرآن ٩١/٤ دون قوله: وَلَا ضَارُورَةٌ.

(٧) قائله خدّاش بن زهير، وهو في خزائن الأدب ٢٨٩/٩ .

(٨) في الصحاح (ضور).

الكسائي: سمعتُ بعضهم يقول: لا ينفعني ذلك ولا يضرُّوني. والتَّضَوُّرُ: الصَّيْحُ والتَّلَوِّي عند الضرب أو الجوع. والضُّوْرَة بالضم: الرَّجُلُ الحَقِيرُ، الصَّغِيرُ الشَّانَ.

﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ يُرِيدُ: نَتَقَلَّبُ إِلَىٰ رَبِّ كَرِيمٍ رَحِيمٍ.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا﴾ أَنَّ «أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ» ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لِأَنَّ كُنَّا. وأجاز الفراءُ كسرها على أن تكون مُجَازاة^(١). ومعنى: ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: عند ظهور الآية ممن كان في جانب فرعون. الفراء^(٢): أول مؤمني زماننا. وأنكره الزَّجَّاج^(٣) وقال: قد رُوِيَ أَنَّهُ آمَنَ مَعَهُ سِتُّ مِائَةِ أَلْفٍ وَسَبْعُونَ أَلْفًا، وَهُمْ الشُّرَذِمَةُ الْقَلِيلُونَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ فِرْعَوْنُ: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشُرَذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾. رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ ٥١ ﴿إِنَّا كُنَّا مُتَّبِعُونَ﴾ ٥٢ ﴿فَأَرْسَلْنَا فِي الْمَدَائِنِ خَشْرِينَ﴾ ٥٣ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشُرَذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ ٥٤ ﴿وَلَهُمْ لَنَا لَعَابُطُونَ﴾ ٥٥ ﴿وَلِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ ٥٦ ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ٥٧ ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾ ٥٨ ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٥٩ ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ تَفْهِيَةً﴾ ٦٠ ﴿فَلَمَّا تَرَاكَ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُونٌ﴾ ٦١ ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ٦٢ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ ٦٣ ﴿وَأَرْزَقْنَا نَمُ الْآخِرِينَ﴾ ٦٤ ﴿وَأَوْحَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ٦٥ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ ٦٦ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٦٧ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٦٨

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ ٥١ ﴿إِنَّا كُنَّا مُتَّبِعُونَ﴾ ٥٢ لَمَّا كَانَ مِنْ سُنَّتِهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ إِنْجَاءَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصْذِقِينَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، الْمُعْتَرِفِينَ بِرِسَالَةِ رَسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ،

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٨٠ ، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٨٠ .

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٢٨٠ .

(٣) في معاني القرآن له ٤/ ٩١ .

(٤) أخرجه الطبري ١٧/ ٥٧٣ عن ابن مسعود وأبي عبيدة.

وإهلاك الكافرين المُكذِّبين لهم من أعدائه، أمر موسى أن يخرج بني إسرائيل ليلاً وسماهم عباده؛ لأنهم آمنوا بموسى. ومعنى: «إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ» أي: يتبعكم فرعون وقومه ليرُدوكم^(١). وفي ضمن هذا الكلام تعريفهم أن الله يُنجيهم منهم، فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل سَحَرًا، فترك الطريق إلى الشام على يساره، وتوجّه نحو البحر، فكان الرجل من بني إسرائيل يقول له في ترك الطريق، فيقول: هكذا أُمِرْتُ. فلما أصبح فرعون وَعَلِمَ بِسُرَى موسى ببني إسرائيل، خرج في أثرهم، وبعث إلى مدائن مصر ليلحقه العساكر، فَرُوي أَنَّهُ لَحِقَهُ ومعه مئة ألف^(٢) أذهبهم من الخيل حاشي^(٣) سائر الألوان. وَرُوي أَنَّ بني إسرائيل كانوا ست مئة ألف وسبعين ألفاً. والله أعلم بصحّته، وإنّما اللازم من الآية الذي يُقطع به أن موسى عليه السلام خرج بجمع عظيم من بني إسرائيل، وأن فرعون تبعه بأضعاف ذلك. قال ابن عباس: كان مع فرعون ألف جبار كلهم عليه تاج، وكلهم أمير خيل. والشُرذمة: الجمع القليل المحتقر، والجمع الشراذم^(٤). قال الجوهري: الشُرذمة: الطائفة من الناس، والقطعة من الشيء. وثوب شراذم أي: قطع^(٥). وأنشد الثعلبي قول الراجز:

جاء الشتاء وثيابي أخلاق شراذم يضحك منها النّواق

النّواق من الرجال: الذي يروض الأمور ويصلحها. قاله في الصحاح^(٦). واللام في قوله: «الشُرذمة» لام توكيد، وكثيراً ما تدخل في خبر إن، إلا أن الكوفيين لا يجيزون: إن زيدا لسوف يقوم. والدليل على أنه جائز قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْفَ نَقَامُونَ﴾

(١) الوسيط ٣/ ٣٥٤، وتفسير البغوي ٣/ ٣٨٦.

(٢) في المحرر الوجيز: ست مئة ألف.

(٣) في (د) و(ز) و(م): سوى، وكلاهما بمعنى.

(٤) من قوله: فخرج موسى... إلى هذا الموضع من المحرر الوجيز ٤/ ٢٣١-٢٣٢.

(٥) الصحاح (شردم).

(٦) (نوق)، ويروى بالتاء (النّواق) على أنه اسم ابنه. اللسان (نوق).

وهذه لأم التوكيد بعينها وقد دخلت على سوف. قاله النَّحَّاس^(١).

﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَنَاقِطُونَ﴾ أي: أعداء لنا لمخالفتهم ديننا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها على ما تقدم. وماتت أبقارهم تلك الليلة. وقد مضى هذا في «الأعراف» و«طه»^(٢) مستوفى. يُقال: غاظني كذا وأغاظني. والغِيْظُ: الغضب، ومنه التغيُّظ والاعتياظ. أي: غاظونا بخروجهم من غير إذن^(٣). ﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ﴾ أي: مُجْتَمِعٌ مُسْتَعِدٌّ أَخَذْنَا حِزْرُنَا وَأَسْلِحَتَنَا. وقُرئ: «حَازِرُونَ» ومعناه معنى «حَازِرُونَ»^(٤) أي: فَرِقُونَ خَائِفُونَ. قاله الجوهرى^(٥): وقُرئ: «وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ» و«حَازِرُونَ» و«حَازِرُونَ» بضمّ الدال. حكاه الأخفش، ومعنى «حَازِرُونَ»: مُتَأَهِّبُونَ، ومعنى «حَازِرُونَ»: خَائِفُونَ. قال النَّحَّاس: «حَازِرُونَ» قراءة المدنين وأبي عمرو، وقراءة أهل الكوفة: «حَازِرُونَ»^(٦) وهي معروفة عن عبد الله بن مسعود وابن عباس، و«حَازِرُونَ» بالدال غير المُعْجَمَةِ قراءة أبي عباد^(٧)، وحكاها المهدوي عن ابن أبي عمار، والماوردي والثعلبي عن سُمَيْط بن عجلان^(٨). قال النَّحَّاس: أبو عبيدة يذهب إلى أنَّ معنى «حَازِرُونَ» و«حَازِرُونَ» واحد. وهو قول سيبويه، وأجاز: هو حَازِرٌ زِيداً، كما يُقال: حَازِرٌ زِيداً، وأنشد:

(١) في إعراب القرآن ٣/ ١٨٠.

(٢) ١١١-١٠٨/١٤.

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٣٨٧ دون قوله: ومنه التغيظ والاعتياظ. قال الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٩٢: من قال: أغاظني، فقد لحن.

(٤) وهو قول أبي عبيدة كما سيأتي.

(٥) في الصحاح (حذر).

(٦) السبعة ص ٤٧١، والتيسير ص ١٦٥، والنشر ٢/ ٣٣٥.

(٧) إعراب القرآن ٣/ ١٨٠، لكن الذي في مطبوعه: عن ابن أبي عمار بدل أبي عباد.

(٨) هذه القراءة في المحتسب ٢/ ١٢٨ عن ابن أبي عمار، وفي الشاذة ص ١٠٦ عن ابن أبي عمار ومحمد ابن السميع، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٢ عن ابن أبي عمار وسُمَيْط بن عجلان. وذكرها الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٤٠٩ عن عبد الله بن مسعود.

حَذِرْ أُمُورًا لَا تَضِيرُ وَآمِنْ مَا لَيْسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ^(١)
 وزعم أبو عمر الجرمي أنه يجوز: هو حَذِرْ زِيدًا عَلَى حَذَفٍ مِنْ. فأمَّا أَكْثَرُ
 النَّحْوِيِّينَ فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ حَذِرٍ وَحَاذِرٍ، منهم الكسائي والقرءاء ومحمد بن يزيد، فيذهبون
 إِلَى أَنَّ مَعْنَى حَذِرٍ: فِي خِلْقَتِهِ الْحَذَرُ، أَي: مُتَقَيِّظٌ مُتَنَبِّهٌ، فَإِذَا كَانَ هَكَذَا لَمْ يَتَّعِدْ،
 وَمَعْنَى حَاذِرٍ مُسْتَعِدٌّ، وَبِهَذَا جَاءَ التَّفْسِيرُ عَنِ الْمُتَقَدِّمِينَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِ
 اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِنَا لَجِيْعٌ حَادِرُونَ﴾ قَالَ: مُؤَدُّونَ فِي السِّلَاحِ وَالْكَرَاعِ مُقَوُّونَ، فَهَذَا ذَاكَ
 بَعِيْنِهِ. وَقَوْلُهُ: مُؤَدُّونَ: مَعَهُمْ أَدَاةٌ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمَعْنَى: مَعَنَا سِلَاحٌ وَلَيْسَ مَعَهُمْ
 سِلَاحٌ؛ يُحَرِّضُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، فَأَمَّا «حَادِرُونَ» بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ فَمُسْتَقٌّ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَيْنٌ
 حَذْرَةٌ أَي: مَمْتَلِئَةٌ، أَي: نَحْنُ مَمْتَلِئُونَ غِيْظًا عَلَيْهِمْ^(٢)، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَعَيْنٌ لَهَا حَذْرَةٌ بَذْرَةٌ شُقَّتْ مَاقِيَهُمَا مِنْ أُخْرٍ^(٣)
 وَحَكَى أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّهُ يُقَالُ: رَجُلٌ حَادِرٌ إِذَا كَانَ مُمْتَلِئًا لِلْحَمِّ^(٤)، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 الْمَعْنَى: الْإِمْتِلَاءُ مِنَ السِّلَاحِ. الْمَهْدَوِيُّ: الْحَادِرُ: الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ يَعْنِي: مِنْ أَرْضِ مِصْرَ^(٥). وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ عَمْرٍو قَالَ: كَانَتِ الْجَنَّاتُ بِحَافَتِي النَّيْلِ فِي الشَّقَتَيْنِ جَمِيعًا مِنْ أُسْوَانَ إِلَى رَشِيدٍ،
 وَبَيْنَ الْجَنَاتِ زُرُوعٌ. وَالنَّيْلُ سَبْعَةُ خِلْجَانٍ: خِلْجُ الْأَسْكَندَرِيَّةِ، وَخِلْجُ سَخَا، وَخِلْجُ
 دِمْيَاطٍ، وَخِلْجُ سَرْدُوسٍ، وَخِلْجُ مَنَفٍ، وَخِلْجُ الْفَيُومِ، وَخِلْجُ الْمَنْهَى، مُتَّصِلَةٌ لَا
 يَنْقَطِعُ مِنْهَا شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ، وَالزُّرُوعُ مَا بَيْنَ الْخِلْجَانِ كُلِّهَا. وَكَانَتْ أَرْضُ مِصْرَ كُلُّهَا

(١) سلف ٢٨٨/١٠.

(٢) إعراب القرآن ١٨١/٣.

(٣) قائله امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص ١٦٦. قال شارحه: بدرة: تبذر بالنظر. شُقَّتْ مَاقِيَهُمَا: تفتحت، فكأنها انشقت. من أُخْرٍ: من مآخير العين.

(٤) تهذيب اللغة ٤٠٧/٤.

(٥) تفسير أبي الليث ٤٧٤/٢.

ثُرَى مِنْ سِتَّةِ عَشَرَ ذِرَاعاً بِمَا دَبُّوا وَقَدَّروا مِنْ فَنَاطِرِهَا وَجُورِهَا وَخَلْجَانِهَا^(١)؛
وَلِذَلِكَ سُمِّيَ النَّيْلُ - إِذَا غُلِقَ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعاً - نَيْلُ السُّلْطَانِ، وَيُخْلَعُ عَلَى ابْنِ أَبِي
الرَّدَادِ، وَهَذِهِ الْحَالُ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى الْآنَ. وَإِنَّمَا قِيلَ: نَيْلُ السُّلْطَانِ؛ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَجِبُ
الْخَرَجُ عَلَى النَّاسِ. وَكَانَتْ أَرْضُ مِصْرَ جَمِيعُهَا تُرَوَّى مِنْ إَصْبَعٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَبْعَةِ
عَشَرَ ذِرَاعاً، وَكَانَتْ إِذَا غُلِقَ النَّيْلُ سَبْعَةَ عَشَرَ ذِرَاعاً وَتُودِيَ عَلَيْهِ إَصْبَعٌ وَاحِدٌ مِنْ ثَمَانِيَةِ
عَشَرَ ذِرَاعاً، أَزْدَادَ فِي خَرَجِهَا أَلْفُ أَلْفٍ دِينَارٍ. فَإِذَا خَرَجَ عَنْ ذَلِكَ وَتُودِيَ عَلَيْهِ إَصْبَعاً
وَاحِداً مِنْ تِسْعَةِ عَشَرَ ذِرَاعاً نَقَصَ خَرَجُهَا أَلْفُ أَلْفٍ دِينَارٍ. وَسَبَبُ هَذَا مَا كَانَ يَنْصَرَفُ
فِي الْمَصَالِحِ وَالْخَلْجَانِ وَالْجُسُورِ وَالْإِهْتِمَامِ بِعِمَارَتِهَا. فَأَمَّا الْآنَ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَا يُرَوَّى
حَتَّى يُنَادَى إَصْبَعٌ مِنْ تِسْعَةِ عَشَرَ ذِرَاعاً بِمَقْيَاسِ مِصْرَ. وَأَمَّا أَعْمَالُ الصَّعِيدِ الْأَعْلَى،
فَإِنَّ بِهَا مَا لَا يَتَكَامَلُ رِيُّهُ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ الْمَاءِ فِي الذَّرَاعِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ بِالصَّعِيدِ
الْأَعْلَى^(٢).

قُلْتُ: أَمَّا أَرْضُ مِصْرَ فَلَا تُرَوَّى جَمِيعُهَا الْآنَ إِلَّا مِنْ عِشْرِينَ ذِرَاعاً وَأَصَابِعَ؛
لِغُلُوقِ الْأَرْضِ وَعَدَمِ الْإِهْتِمَامِ بِعِمَارَةِ جُورِهَا، وَهُوَ مِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَزِيدُ
إِذَا انْصَبَّتِ الْمِيَاءُ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ حَتَّى يَسِيحَ عَلَى جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ، وَتَبْقَى الْبِلَادُ
كَالْأَعْلَامِ لَا يُوَصَّلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِالْمَرَكَبِ وَالْقِيَاسَاتِ.

وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ: نَيْلُ مِصْرَ سَيِّدُ الْأَنْهَارِ، سَخَّرَ
اللَّهُ لَهُ كُلَّ نَهْرٍ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَذَلَّلَ اللَّهُ لَهُ الْأَنْهَارَ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ
نَيْلَ مِصْرَ أَمَرَ كُلَّ نَهْرٍ أَنْ يَمُدَّهُ، فَأَمَدَّتْهُ الْأَنْهَارُ بِمَائِهَا، وَفَجَّرَ اللَّهُ لَهُ عَيُوناً، فَإِذَا انْتَهَى
إِلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى كُلِّ مَاءٍ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى عُنْصَرِهِ.
وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْحَجَّاجِ [عَمَّنْ حَدَّثَهُ]^(٣): لَمَّا افْتَتَحَتْ مِصْرُ أَتَى أَهْلُهَا إِلَى عَمْرٍو

(١) معاني القرآن للنحاس ٨١/٥.

(٢) ذكره النحاس في معاني القرآن ٨١/٥، وأخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر ص ١٠٣.

(٣) ما بين حاصرتين من المصادر.

ابن العاص حين دخل بؤونة من أشهر العجم^(١) فقالوا له: أيها الأمير، إنَّ لِنيلنا هذا سنة لا يجري إلَّا بها. فقال لهم: وما ذاك؟ فقالوا: إذا كان لاثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمَدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها، وحملنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال لهم عمرو: هذا لا يكون في الإسلام؛ وإنَّ الإسلام يهدم ما قبله. فأقاموا بؤونة وأيب^(٢) ومسرى لا يجري قليل ولا كثير، وهموا بالجلأ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأعلمه بالقصة، فكتب إليه عمر بن الخطاب: إنَّك قد أصبت بالذي فعلت، وإنَّ الإسلام يهدم ما قبله، ولا يكون هذا. وبعث إليه ببطاقة في داخل كتابه، وكتب إلى عمرو: إني بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي، فألقها في النيل إذا أتاك كتابي. فلما قدِم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها: من عبد الله أمير المؤمنين عمر إلى نيل مصر، أمَّا بعد: فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يُجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يُجريك. قال: فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم واحد^(٣)، وقد تهيأ أهل مصر للجلأ والخروج منها؛ لأنَّه لا تقوم مصلحتهم فيها إلَّا بالنيل. فلما ألقى البطاقة في النيل، أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى في ليلة واحدة ستة عشر ذراعاً، وقطع الله تلك السنة السوء^(٤) عن أهل مصر من تلك السنة^(٥).

(١) في النسخ: القبط. والمثبت من المصادر.

(٢) في (د) و(م): فأقاموا أيب.

(٣) كلمة «واحد» من (ظ).

(٤) المثبت من المصادر، وكلمة «السوء» ليست في النسخ، وفي (ظ): «السيرة» بدل: «السنة».

(٥) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر ص ١٠٤، وأبو الشيخ في العظمة (٩٤١)، واللالكائي في كرامات الأولياء (٦٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣٧/٤٤ من طريق ابن لهيعة، عن قيس بن الحجاج، به. ابن لهيعة سيئ الحفظ. تهذيب التهذيب ٤١١/٢-٤١٣. وفي إسناده إبهام الراوي الذي روى عنه قيس بن الحجاج.

قال كعب الأحبار: أربعة أنهارٍ من الجنة وضَعَهَا اللهُ تعالى في الدنيا: سَيِّحَانُ وَجَيِّحَانُ والنَّيْلُ والفَرَاتُ، فَسَيِّحَانُ نَهْرُ الْمَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَجَيِّحَانُ نَهْرُ اللَّبَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَالنَّيْلُ نَهْرُ الْعَسَلِ فِي الْجَنَّةِ، وَالْفَرَاتُ نَهْرُ الْخَمْرِ فِي الْجَنَّةِ^(١). وقال ابنُ لَهْيَعَةَ: الدَّجَلَةُ نَهْرُ اللَّبَنِ فِي الْجَنَّةِ.

قلت: الذي في الصحيح من هذا حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيِّحَانُ وَجَيِّحَانُ وَالنَّيْلُ وَالْفَرَاتُ كُلُّهُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ» لَفْظُ مُسْلِمٍ^(٢). وفي حديث الإسراء من حديث أنس بن مالك، عن مالك بن صَعَصَعَةَ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالَ: وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ «أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفَرَاتُ» لَفْظُ مُسْلِمٍ^(٣). وقال البخاريُّ مِنْ طَرِيقِ شَرِيكَ عَنْ أَنَسٍ: «فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهْرَيْنِ يَطَّردَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهْرَانِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ عَنَصْرُهُمَا، ثُمَّ مَضَى فِي السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنَ اللَّوْلُؤِ وَالزَّبَرْجَدِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَإِذَا هُوَ مِنْسُكٌ أَذْفَرُ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَذَا هُوَ الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ». وذكر الحديث^(٤). والجمهورُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعَيُونِ عَيُونُ الْمَاءِ. وقال سعيد بن جُبَيْرٍ: الْمُرَادُ عَيُونُ الذَّهَبِ. وفي الدخان [٢٥-٢٦]: ﴿كَمَ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ﴾. قيل: إِنَّهُمْ كَانُوا يَزْرَعُونَ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ مِنْ أَوَّلِ مَصْرَ إِلَى آخِرِهَا^(٥). وليس في الدخان «وكنوز». «وكنوز» جمع كنز، وقد مضى هذا في سورة «براءة»^(٦). وَالْمُرَادُ بِهَا هَاهُنَا الْخَزَائِنُ. وقيل: الدفائن. وقال الضَّحَّاكُ:

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر ص ١٠٣، والحاثر بن أبي أسامة كما في بغية الباحث (١٠٤٢).

(٢) في صحيحه (٢٨٣٩). وأخرجه أحمد (٩٦٧٤).

(٣) في صحيحه (١٦٤): (٢٦٥). وأخرجه أحمد (١٧٨٣٣).

(٤) صحيح البخاري (٧٥١٧). قوله: «يَطَّردَانِ» أي: يجريان. النهاية (طرد).

(٥) النكت والعيون ٢٥١/٥.

(٦) ١٨١/١٠.

الأنهار. وفيه نظر؛ لأنَّ العيونَ تشملها ﴿وَمَقَارِ كَرِيمٍ﴾ قال ابن عمر وابن عباس ومجاهد: المقام الكريم: المنابر. وكانت ألفٌ مِنبرٍ لألفِ جَبَّارٍ يُعْظَمُونَ عليها فرعونَ ومُلْكُهُ. وقيل: مجالس الرؤساء والأمراء. حكاه ابن عيسى، وهو قريبٌ من الأول. وقال سعيد بن جبير: المساكن الحسان^(١). وقال ابنُ لهيعة: سمعتُ أنَّ المقام الكريم القيوم^(٢). وقيل: كان يوسفُ عليه السلام قد كتبَ على مجلسٍ من مجالسه: «لا إلهَ إلَّا الله، إبراهيمُ خليلُ الله» فسَمَّاها اللهُ كريمةً بهذا. وقيل: مرابِطُ الخيل، لتفرَّدِ الزُّعماء بارتباطها عُدَّةً وزينةً، فصار مقامُها أكرمَ منزلٍ بهذا. ذكره الماوردي^(٣). والأظهرُ أنَّها المساكنُ الحسانُ كانت تُكرَّمُ عليهم. والمَقَامُ في اللغةِ يكون الموضعَ ويكون مصدرًا. قال النَّحَّاس: المَقَامُ في اللغةِ: الموضعُ؛ من قولك: قامَ يقومُ، وكذا المَقَاماتُ واجِدُها مَقامة، كما قال:

وفيهم مَقَاماتٌ حِسانٌ وجوهُهُم وأنديَّةٌ ينتابُها القولُ والفعلُ^(٤)
والمقامُ أيضاً المصدَرُ من قامَ يقومُ. والمُقَام بالضَّم: الموضعُ، مِنْ أقامَ.
والمصدرُ أيضاً مِنْ أقامَ يُقيمُ^(٥).

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يريدُ أنَّ جميعَ ما ذكره الله تعالى من الجنَّاتِ والعيونِ والكنوزِ والمقامِ الكريمِ أورثه الله بني إسرائيل. قال الحسنُ وغيره: رجعَ بنو إسرائيل إلى مصر بعد هلاكِ فرعونَ وقومه. وقيل: أرادَ بالوراثة هنا ما استعاروه من حُلِيِّ آلِ فرعونَ بأمرِ الله تعالى. قلتُ: وكلا الأمرين حصلَ لهما. والحمد لله.

(١) النكت والعيون ١٧٢/٤ و ٢٥١/٥ ، وفيه: الحسن بدل ابن عمر.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٨٢/٥ ، والمحرر الوجيز ٢٣٢/٤ .

(٣) في النكت والعيون ١٧٢/٤ .

(٤) قائله زهير بن أبي سلمى، وسلف ٣٧٤/٢ .

(٥) معاني القرآن للنحاس ٨٢/٥ .

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ أي: فتبع فرعون وقومه بني إسرائيل. قال السُّدِّيُّ: حين أشرقَتِ الشَّمْسُ بالشُّعاع. وقال قتادة: حين أشرقَتِ الأرضُ بالضياء. قال الزَّجَّاجُ^(١): يقال: شَرَقَتِ الشَّمْسُ إذا طلعت، وأشرقَت إذا أضاءت.

واختلَفَ في تأخِرِ فرعونَ وقومه عن موسى وبني إسرائيل على قولين: أحدهما - لا اشتغالهم بدفن أبقارهم في تلك الليلة؛ لأنَّ الوباءَ في تلك الليلة وقعَ فيهم، بقوله: «مُشْرِقِينَ» حالٌ لقوم فرعون. الثاني - إنَّ سحابةً أظلمتْهم وظُلْمة، فقالوا: نحنُ بَعْدُ في الليل، فما تَقَشَّعَتْ عنهم حتى أصبحوا. وقال أبو عبيدة: معنى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾: ناحية المشرق. وقرأ الحسن وعُمرو بن ميمون: «فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ» بالتشديد وألف الوصل^(٢)؛ أي: نحو المشرق؛ مأخوذةً من قولهم: شَرَقَ وغَرَبَ إذا سارَ نحوَ المشرقِ والمغربِ^(٣). ومعنى الكلام: قدَرنا أن يرثها بنو إسرائيل فاتَّبَعَ قومُ فرعونَ بني إسرائيل مُشْرِقِينَ فهلكوا، وورث بنو إسرائيل بلادهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ﴾ أي: تقابلا^(٤)، بحيث يرى كلُّ فريقٍ صاحِبَه، وهو تفاعلٌ من الرؤية.

﴿قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ أي: قُرِبَ مِنَّا العدوُّ ولا طاقةَ لنا به^(٥). وقراءة الجماعة: «لَمُدْرِكُونَ» بالتخفيف من أدرك. ومنه: ﴿حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ﴾ [يونس: ٩٠]. وقرأ عبيد بن عمير والأعرج والزُّهري: «لَمُدْرِكُونَ» بتشديد الدال من أدرك^(٦). قال الفرَّاء^(٧): حَفَرَ واحْتَفَرَ بمعنى واحد، وكذلك «لَمُدْرِكُونَ» و«لَمُدْرِكُونَ»

(١) في معاني القرآن له ٩٢/٤.

(٢) الشاذة ص ١٠٧ عن الحسن والذماري، وزاد المسير ١٢٦/٦ عن الحسن وأيوب السخيتاني.

(٣) من قوله: قال السدي... إلى هذا الموضع من النكت والعيون ١٧٣/٤.

(٤) بعدها في النسخ: الجمعان.

(٥) الوسيط ٣/٣٥٤، وتفسير البغوي ٣/٣٨٧.

(٦) المحتسب ٢/١٢٩، والمحور الوجيز ٤/٢٣٣ عن عبيد بن عمير والأعرج، وهي قراءة شاذة.

(٧) في معاني القرآن له ٢٨٠/٢.

بمعنى واحد. النَّحَّاسُ^(١): وليس كذلك يقول النُّحُوثُونَ الحُدَّاق، إنما يقولون: مُدْرَكُونَ: مُلْحَقُونَ، ومُدْرَكُونَ: مُجْتَهِدٌ في لحاقهم، كما يُقال: كسبتُ بمعنى أصبتُ وظفرتُ، واكتسبتُ بمعنى اجتهدتُ وطلبتُ، وهذا معنى قول سيبويه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ لَمَّا لَحِقَ فرعونُ بجمعه جَمَعَ موسى وقُرْبَ منهم، ورأتُ بنو إسرائيلَ العدوَّ القويَّ والبحرَ أمامهم ساءت طُنُونُهُمْ، وقالوا لموسى على جهة التَّوْبِيخِ والجَفَاءِ: «إِنَّا لَمُدْرِكُونَ»، فردَّ عليهم قولهم وزَجَرَهُمْ وذَكَّرَهُمْ وعَدَّ اللهُ سبحانه له بالهداية والظفر^(٢). ﴿كَلَّا﴾ أي: لم يُدْرِكوكُم^(٣) ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ أي: بالنصر على العدو^(٤). ﴿سَيَهْدِينِ﴾ أي: سيُدْلِينِي على طريق النجاة^(٥)، فلَمَّا عَظُمَ البلاءُ على بني إسرائيل، ورأوا من الجيوش ما لا طاقةَ لهم بها، أمرَ اللهُ تعالى موسى أن يضربَ البحرَ بعصاه، وذلك أنه عزَّ وجلَّ أراد أن تكون الآيةُ متصلةً بموسى ومُتعلِّقةً بفعلٍ يفعله، وإلا فَضْرَبُ العصا ليس بفارقٍ للبحر، ولا معينٌ على ذلك بذاته إلا بما اقترنَ به من قدرةِ الله تعالى واختراعه^(٦). وقد مضى في «البقرة»^(٧) قصَّةُ هذا البحر. ولَمَّا انفلق صار فيه اثنا عشرَ طريقاً على عدد أسباط بني إسرائيل، ووقفَ الماءُ بينها كالطُّودِ العظيم، أي: الجبل العظيم^(٨). والطُّودُ: الجبل، ومنه قول امرئ القيس^(٩):

(١) في إعراب القرآن ١٨٢/٣.

(٢) المحرر الوجيز ٢٣٢/٤ - ٢٣٣.

(٣) تفسير البغوي ٣٨٨/٣، وزاد المسير ١٢٦/٦.

(٤) مجمع البيان ١٥٥/١٩.

(٥) الوسيط ٣٥٤/٣، وتفسير البغوي ٣٨٨/٣، وزاد المسير ١٢٦/٦.

(٦) المحرر الوجيز ٢٣٣/٤.

(٧) ٨٩/٢ - ٩٠.

(٨) المحرر الوجيز ٢٣٣/٤.

(٩) في ديوانه ص ٣١٠.

فبينما المرء في الأحياء طوؤُ
وقال الأسود بن يعْفُر:

حلُّوا بأنقرة يسيلُ عليهم ماءُ الفُراتِ يجيئُ من أظْوادِ
جمع طود أي: جبل^(٢). فصارَ لموسى وأصحابه طريقاً في البحر يَبَساً، فلمَّا
خرج أصحابُ موسى وتكامل آخرُ أصحابِ فرعون على ما تقدَّم في «يونس»^(٣)
انصبَّ عليهم وغرِقَ فرعونُ، فقال بعضُ أصحابِ موسى: ما غرِقَ فرعونُ؛ فنبذَ على
ساحلِ البحرِ حتى نظروا إليه.

وروى ابن القاسم عن مالك قال: خرجَ مع موسى عليه السلام رجُلانِ من التُّجارِ
إلى البحرِ، فلمَّا أتوا إليه قالَا له: بِمِ أَمْرِكَ اللهُ؟ قال: أُمِرْتُ أَنْ أَضْرِبَ البحرَ بعصايِ
هذه فيَجِفَّ^(٤). فقالَا له: افْعَلْ ما أَمَرَكَ اللهُ فلن يُخْلِفَكَ. ثم أَلْقَيَا أَنْفُسَهُمَا في البحرِ
تصديقاً له، فما زالَ كذلك البحرُ حتى دخلَ فرعونُ وَمَنْ معه، ثم ارتدَّ كما كان^(٥).
وقد مضى هذا المعنى في سورة «البقرة»^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَأَرْلَقْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ﴾ أي: قَرَّبْنَاهُمْ إلى البحرِ؛ يعني فرعونَ وقومه.
قاله ابن عباس وغيره؛ قال الشاعر:

وكلُّ يومٍ مَضَى أو ليلةٍ سَلَفَتْ فيها النفوسُ إلى الآجالِ تَرْدِلُفٌ^(٧)
أبو عبيدة^(٨): «أَرْلَقْنَا»: جمعنا، ومنه قيل لليلة المزدلفة: ليلة جَمْع.

(١) النكت والعيون ١٧٤/٤.

(٢) تفسير الطبري ٥٨٥/١٧، والبيت ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٨٦/٢ من غير نسبة.

(٣) ٤٥/١١.

(٤) المثبت من (ظ) وأحكام القرآن لابن العربي، وفي (د) و(ز): فينغرق، وفي (م): فينغلق.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٤٢٣/٣.

(٦) ٩٣/٢.

(٧) النكت والعيون ١٧٥/٤.

(٨) في مجاز القرآن ٨٧/٢.

وقرأ عبد الله بن الحارث وأبي بن كعب وابن عباس: «وَأَزَلَقْنَا» بالقاف^(١) على معنى أهلكناهم، من قوله: أزلقت الناقة وأزلقت الفرس فهي مُزْلِقٌ إذا أزلقت ولدها^(٢).

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ يعني فرعون وقومه^(٣).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: علامة على قدرة الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ لأنه لم يؤمن من قوم فرعون إلا مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل^(٤)، وابنته آسية امرأة فرعون، ومريم بنت ذا موسى^(٥) العجوز التي دلت على قبر يوسف الصديق عليه السلام^(٦). وذلك أن موسى عليه السلام لما خرج ببني إسرائيل من مصر أظلم عليهم القمر فقال لقومه: ما هذا؟ فقال علماؤهم: إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله ألا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا. قال موسى: فأياكم يدري أين^(٧) قبره؟ قال: ما يعلمه إلا عجوز لبني إسرائيل. فأرسل إليها، فقال: دُلّيني على قبر يوسف. قالت: لا والله لا أفعل حتى تُعطيني حُكْمِي. قال: وما حُكْمُهَا؟ قالت: حُكْمِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ. فنُقلَ عليه، فقيل له: أعطها حُكْمَهَا. فدلَّتْهُمْ عليه، فاحتفروه واستخرجوا عظامه، فلما أفلوها، فإذا الطريق مثل ضوء النهار^(٨). في رواية: فأوحى الله إليه أَنْ أَعْطِهَا، ففعل، فأتَتْ بهم إلى بَحِيرَةٍ، فقالت لهم: أَنْضِبُوا

(١) في المحتسب ١٢٩/٢ عن عبد الله بن الحارث، والشاذة ص ١٠٧ عن أبي وابن عباس رضي الله عنهما. وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ١٢٧/٦ عن ابن مسعود وأبي رجاء والضحاك وابن عمر.

(٢) تهذيب اللغة ٤٣١/٨ بنحوه.

(٣) تفسير أبي الليث ٤٧٥/٢.

(٤) في الوسيط: خربيل.

(٥) في الوسيط: موشا، وفي تفسير البغوي: مأمويا.

(٦) الوسيط ٣/٣٥٥، وتفسير البغوي ٣/٣٨٨.

(٧) كلمة «أين» من (ظ).

(٨) النكت والعيون ١٧٤/٤.

هذا الماء . فَأَنْصَبُوهُ، واستخرجوا عظام يوسف عليه السلام، فتبينت لهم الطريق مثل ضوء النهار^(١). وقد مضى في «يوسف»^(٢).

وروى أبو بردة عن أبي موسى، أن رسول الله ﷺ نزل بأعرابي فأكرمه، فقال رسول الله ﷺ: «حاجتك؟» قال: ناقة أرحلها، وأعنزأ أخلبها. فقال رسول الله ﷺ: «فَلِمَ عَجَزْتَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟» فقال أصحابه: وما عجوز بني إسرائيل؟ فذكر لهم حال هذه العجوز التي احتكمت على موسى أن تكون معه في الجنة^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٧٦ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنْكُمْنَ ﴿٧٨﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٩﴾ أَوْ يَبْصُرُونَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٨١﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٨٢﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْلَامُونَ ﴿٨٣﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ نبه المشركين على فرط جهلهم إذ رغبوا عن اعتقاد إبراهيم ودينه وهو أبوهم. والنبا الخبر^(٤)؛ أي: اقضض عليهم يا محمد خبره وحديثه وعيبه على قومه ما يعبدون^(٥). وإنما قال ذلك ملزماً لهم الحجة. والجمهور من القراء على تخفيف الهمزة الثانية، وهو أحسن الوجوه؛ لأنهم قد أجمعوا على تخفيف الثانية من كلمة واحدة نحو آدم. وإن شئت حَقَّقْتَهُمَا فَقُلْتَ: «نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ». وإن شئت خَفَّفْتَهُمَا فَقُلْتَ: «نبا إبراهيم». وإن شئت خَفَّفْتَ الْأُولَى. وَثُمَّ

(١) أخرجه أبو يعلى (٧٢٥٤)، وابن حبان (٧٢٣)، والحاكم ٥٧١/٢ - ٥٧٢ من حديث أبي موسى الأشعري ر. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا حديث غريب جداً، والأقرب أنه موقوف.

(٢) ٤٦٢/١١.

(٣) هو تمة حديث أبي موسى السالف.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٨٥/٥.

(٥) تفسير الطبري ٥٨٩/١٧ بنحوه.

خامسٌ إلا أَنَّهُ بعيدٌ في العربية، وهو أن تُدغمَ الهمزة في الهمزة كما يُقال: رأسٌ للذي يبيع الرؤوس، وإنما بُعدُ لأنك تجمعُ بين همزتين كأنهما في كلمة واحدة، وحسنٌ في فَعَالٍ؛ لأنه لا يأتي إلا مُدغماً^(١).

﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: أي شيء تعبدون؟ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ وكانت أصنامهم من ذهبٍ وفضةٍ ونحاسٍ وحديدٍ وخشب. ﴿فَنَظَّلْنَاهَا عَلَى كَيْفٍ نَّهْئُهَا عَنِ كُنُوفِهَا﴾ أي: فنقيمُ على عبادتها. وليس المراد وقتاً معيناً، بل هو إخبارٌ عما هم فيه. وقيل: كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل، وكانوا في الليل يعبدون الكواكب. فيقال: ظلٌّ يفعل كذا، إذا فعله نهاراً، وبات يفعل كذا، إذا فعله ليلاً^(٢).

﴿قَالَ هَلْ يُسْمِعُونَكَ﴾ قال الأخفش: فيه حذف، والمعنى: هل يسمعون منكم؟ أو: هل يسمعون دعاءكم؟ قال الشاعر:

القائدُ الخيلَ مَنْكُوباً دَوَابِرُهَا قَدْ أَحْكَمْتَ حَكَمَاتِ الْقِدِّ وَالْأَبْقَا^(٣)

قال: والأبق الكَثَّانِ فحذف. والمعنى: وأحكمت حَكَمَاتِ الْأَبْقِ^(٤). وفي الصحاح: والأبق بالتحريك: القِنْبُ^(٥). ورُوي عن قتادة أنه قرأ: «هَلْ يُسْمِعُونَكَ» بضمِّ الياء، أي: هل يسمعونكم أصواتهم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾^(٦)؟ ﴿أَوْ يَفْعَلُونَ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ أي: هل تنفعكم هذه الأصنام وترزقكم، أو تملك لكم خيراً أو ضراً إن

(١) إعراب القرآن ١٨٢/٣.

(٢) تفسير البغوي ٣٨٨/٣ ببعضه.

(٣) قائله زهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص ٤٩. قال شارح الديوان: أي: قادها في الغزو فأبعد بها حتى نكبت دوابرها، والدوابر: مآخير الحوافر، أي: أكلت الأرض دوابرها. قد أحكمت: أي: قد جعل لها القِدِّ حَكَمَاتِ، والحكمة: التي تكون على الأنف.

(٤) نقله النحاس في إعراب القرآن ١٨٢/٣-١٨٣ عن الأخفش. وينظر معاني القرآن للأخفش ٦٤٦/٢.

(٥) الصحاح (أبق).

(٦) إعراب القرآن ١٨٣/٣، وقراءة قتادة هذه في المحاسب ١٢٩/٢، والشاذة ص ١٠٧، وفيه عن ابن يعمر أيضاً.

عصيتُمْ^(١)؟! وهذا استفهامٌ لتقرير الحُجَّة، فإذا لم ينفعوكم ولم يضروا فما معنى عبادتكم لها؟!

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فزِعُوا^(٢) إلى التقليد من غير حُجَّة ولا دليل. وقد مضى هذا القول فيه^(٣).

﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ من هذه الأصنام^(٤) ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ الأولون^(٥) ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ واحدٌ يؤدِّي عن جماعة، وكذلك يُقال للمرأة: هي عدوُّ الله وعدوَّةُ الله. حكاهما الفراء. قال علي بن سليمان: من قال: عدوَّةُ الله وأثبت الهاء قال: هي بمعنى معادية، ومن قال: عدو للمؤنث والجمع جعله بمعنى النسب^(٦). ووصف الجماد بالعداوة بمعنى أنهم عدوُّ لي إن عبدتُهم يوم القيامة، كما قال: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢]. وقال الفراء: هو من المقلوب، مجازُه: فإني عدوُّ لهم؛ لأنَّ مَنْ عاديتَه عاداك^(٧).

ثم قال: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الكلبي: أي: إلَّا مَنْ عَبَدَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، أي: إلَّا عَابِدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فحذف المضاف. قال أبو إسحاق الزَّجَّاج: قال التَّحَوُّيُونَ: هو استثناءٌ ليس من الأوَّل، وأجاز أبو إسحاق أن يكون من الأوَّل على أنهم كانوا يعبدون الله عزَّ وجلَّ، ويعبدون معه الأصنام، فأعلَمَهم أنه تبرأ مما يعبدون إلا الله. وتأوَّله الفراء على الأصنام وحدها، والمعنى عنده: فإنهم لو عبدتُهم عدوُّ لي يوم

(١) تفسير الطبري ١٧/٥٩٠ بنحوه.

(٢) في (م): فزِعُوا.

(٣) ٢١٦/١٤.

(٤) مجمع البيان ١٩/١٥٩.

(٥) تفسير البغوي ٣/٣٨٩.

(٦) إعراب القرآن ٣/١٨٣.

(٧) تفسير البغوي ٣/٣٨٩.

القيامة، على ما ذكرنا^(١). وقال الجُرْجاني: تقديره: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الأقدمون، إلَّا رَبَّ العالمين، فإنهم عدوٌ لي. وإلا بمعنى دون وسوى، كقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦] أي: دون الموتة الأولى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ٧٨ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ ٧٩ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ٨٠ ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ ٨١ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ٨٢

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أي: يرشدني إلى الدين^(٢). ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ أي: يرزقني^(٣). ودخول «هو» تنبيه على أن غيره لا يطعم ولا يسقي، كما تقول: زيد هو الذي فعل كذا، أي: لم يفعله غيره.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ قال: «مَرِضْتُ» رعايةً للأدب، وإلا فالمرضُ والشفاءُ من الله عزَّ وجلَّ جميعاً. ونظير هذا^(٤) قولُ فتى موسى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكَ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾^(٥) [الكهف: ٦٣]. ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ يريد البعث، وكانوا ينسبون الموت إلى الأسباب، فبيَّن أن الله هو الذي يميت ويحيي.

وكُلُّه بغير ياء: «يهدين» «يشفين»؛ لأنَّ الحذف في رؤوس الآي حسنٌ؛ لتتَّفَقَ كُلُّهَا. وقرأ ابن أبي إسحاق على جلالته ومحله من العربية هذه كُلُّهَا بالياء؛ لأنَّ الياء

(١) من قوله قال أبو إسحاق... إلى هذا الموضع من إعراب القرآن ١٨٣/٣، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٩٣/٤، وقول الفراء في معاني القرآن له ٢٨١/٢.

(٢) الوسيط ٣٥٥/٣.

(٣) تفسير أبي الليث ٤٧٥/٢.

(٤) في (م): ونظيره.

(٥) تفسير البغوي ٣٨٩/٣، وذكر الآية (٧٩) من الكهف ﴿قَالَتْ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، والآية (٨٢) ﴿قَارَادَ رُكَّ أَنْ يَلْمَاً أَشَدَّهُمَا﴾ بدلاً من تلك الآية.

اسم، وإنما دخلتِ النونُ لِعَلَّة^(١). فإن قيل: فهذه صفةٌ لجميع الخلق، فكيف جعلها إبراهيمُ دليلاً على هدايته ولم يهتدِ بها غيره؟ قيل: إنما ذكرها احتجاجاً على وجوب الطاعة؛ لأنَّ من أنعمَ وجبَ أن يُطاعَ ولا يُعصى ليلتزمَ غيره من الطاعة ما قد التزمَها، وهذا إلزامٌ صحيح. قلت: وتجاوزَ بعضُ أهل الإشارات في غوامض المعاني، فعدلَ عن ظاهر ما ذكرناه إلى ما تدفعه بداهة^(٢) العقول من أنه ليس المرادُ من إبراهيم. فقال: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ أي: يُطعمني لذَّة الإيمان ويسقيني حلاوة القبول. ولهم في قوله: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ وجهان: أحدهما - إذا مرضتُ بمخالفتي شَفاني برحمته. الثاني - إذا مرضتُ بمقاساة الخلق، شَفاني بمشاهدة الحق^(٣). وقال جعفر بن محمد الصادق: إذا مرضتُ بالذنوب شَفاني بالتوبة^(٤). وتأولوا قوله: ﴿وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي﴾ على ثلاثة أوجه: فالذي يُميتني بالمعاصي يُحييني بالطاعات. الثاني: يُميتني بالخوف يُحييني بالرجاء. الثالث: يُميتني بالطمع ويُحييني بالقناعة^(٥). وقول رابع: يُميتني بالعدل ويُحييني بالفضل. وقول خامس: يُميتني بالفراق ويُحييني بالتَّلاق. وقول سادس: يُميتني بالجهل ويُحييني بالعقل، إلى غير ذلك مما ليس بشيء منه مرادٌ من الآية؛ فإن هذه التأويلات الغامضة، والأمر الباطنة، إنما تكون لمن حَذَقَ وعرفَ الحقَّ، وأما من كان في عَمَى عن الحقِّ ولا يعرف الحقَّ، فكيف تُرمزُ له الأمورُ الباطنة، وتتركُ الأمورُ الظاهرة؟ هذا محالٌ، والله أعلم.

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٨٤.

(٢) في (د) و(ز) و(ط): بداية. وفي (م): بدائه. والمثبت من النكت والعيون.

(٣) النكت والعيون ٤/ ١٧٥-١٧٦.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥.

(٥) النكت والعيون ٤/ ١٧٦.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ «أَطْمَعُ» أي: أرجو^(١). وقيل: هو بمعنى اليقين في حقه، وبمعنى الرجاء في حق المؤمنين سواء. وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق: «خَطَايَايَ» وقال: ليست خطيئة واحدة. قال النحاس: خطيئة بمعنى خطايا معروف في كلام العرب، وقد أجمعوا على التوحيد في قوله عز وجل: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ [الملك: ١١] ومعناه: بذنوبهم. وكذا: ﴿وَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] معناه الصلوات، وكذا «خَطِيئَتِي» إن كانت خطايا. والله أعلم^(٢). قال مجاهد: يعني بخطيئته قوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْدُهُمْ هَذَا﴾ وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: إِنَّ سَارَةَ أُخْتُهُ^(٣). زاد الحسن: وقوله للكوكب: ﴿هَذَا رَبِّي﴾^(٤) وقد مضى بيان هذا مستوفى^(٥). وقال الزجاج: الأنبياء بشر، فيجوز أن تقع منهم الخطيئة، نعم لا تجوز عليهم الكبائر؛ لأنهم معصومون عنها^(٦).

﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء حيث يُجازى العبادُ بأعمالهم. وهذا من إبراهيم إظهاراً للعبودية، وإن كان يعلم أنه مغفور له. وفي «صحيح مسلم» عن عائشة، قلت: يا رسول الله، ابنُ جدعان كان في الجاهلية يصلُّ الرِّحْمَ، ويُطْعِمُ المسكين، فهل ذلك نافع؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»^(٧).

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٠.

(٢) إعراب القرآن ٣/ ١٨٤، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٨٧.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٨٧-٨٨. وأخرجه الطبري ١٧/ ٥٩٢-٥٩٣، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٢ - ٤٦٣. وقد سلف مرفوعاً ١٤/ ٢٢٢ من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٠.

(٥) ٤٣٨/ ٨.

(٦) معاني القرآن ٢/ ٩٤. قال الرازي في تفسيره ٢٤/ ١٤٦: الجواب الصحيح أن يُحمل ذلك على ترك الأولى، وقد يُسمى ذلك خطأ، فإن من ملك جوهره وأمكنه أن يبيعها بألف ألف دينار فإن باعها بدينار قيل: إنه أخطأ. وترك الأولى على الأنبياء جائز.

(٧) صحيح مسلم (٢١٤). وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٢٤٦٢١)، وأخرجه أحمد (٢٤٨٩٢) بنحوه.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَأَغْفِرْ لِأَيِّبَاتِي إِنَّكَ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴿

قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ «حُكْمًا» معرفة بك وبحدودك وأحكامك. قاله ابن عباس. وقال مقاتل: فهما وعلماء؛ وهو راجع إلى الأول. وقال الكلبي: نبوة ورسالة إلى الخلق. ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ أي: بالنبيين من قبلي في الدرجة^(١). وقال ابن عباس: بأهل الجنة، وهو تأكيد قوله: ﴿هَبْ لِي حُكْمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ قال ابن عباس: هو اجتماع الأمم عليه. وقال مجاهد: هو الثناء الحسن^(٢). قال ابن عطية: هو الثناء وخُلدُ المكانة بإجماع المفسرين، وكذلك أجاب الله دعوته، وكلُّ أمةٍ تَمَسَّكُ به وتُعَظِّمُه، وهو على الحنيفية التي جاء بها محمد ﷺ. قال مكِّي: وقيل: معناه: سؤاله أن يكون من ذريته في آخر الزمان من يقول الحق، فأجيب الدعوة في محمد ﷺ. قال ابن عطية: وهذا معنى حسنٌ، إلا أن لفظ الآية لا يُعطيه إلا بتحكُّم على اللفظ^(٣). وقال القشيري: أراد الدعاء الحسن إلى قيام الساعة، فإنَّ زيادة الثواب مطلوبة في حق كلِّ أحد.

قلت: وقد فعل الله ذلك؛ إذ ليس أحدٌ يُصَلِّي على النبي ﷺ إلا وهو يُصَلِّي على إبراهيم، وخاصَّةً في الصلوات، وعلى المنابر التي هي أفضل الحالات وأفضل الدرجات، والصلاة دعاء بالرحمة. والمراد باللسان القول، وأصله جارحة الكلام.

(١) تفسير البغوي ٣/٣٩٠ بنحوه، وذكر الواحدي في الوسيط ٣/٣٥٦ قول ابن عباس ومقاتل، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٦/١٣٠ قول مقاتل.

(٢) قول مجاهد في معاني القرآن للفراء ٢/٢٨١.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٢٣٥.

قال القُتَيْبِيُّ: وموضع اللسان موضع القول على الاستعارة، وقد تُكنِّي العربُ بها عن الكلمة؛ قال الأعشى^(١):

إِنِّي أَتُشْنِي لِسَانًا لَا أُسْرِ بِهَا مِنْ عَلُوٍّ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ^(٢)

قال الجوهري: يُروى مِنْ عَلُوٍّ، بضم الواو وفتحها وكسرهما، أي: أتاني خبر من أعلى - والتأنيث للكلمة. وكان قد أتاه خبر مقتل أخيه المنتشر^(٣). وروى أشهب عن مالك قال: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ لا بأس أن يُحبَّ الرجلُ أن يُثنى عليه صالحاً ويُرى في عمل الصالحين، إذا قصد به وجه الله تعالى؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾^(٤) [طه: ٣٩] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] أي: حباً في قلوب عباده وثناءً حسناً، فنبه تعالى بقوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ على استحباب اكتساب ما يُورث الذكر الجميل^(٥). الليث بن سليمان: إذ هي الحياة الثانية. قيل:

قد مات قومٌ وهم في النَّاسِ أحياءُ^(٦)

قال ابن العربي^(٧): قال المحققون من شيوخ الزهد: في هذا دليلٌ على الترغيب في العمل الصالح الذي يُكسب الثناء الحسن؛ قال النبي ﷺ: «إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» الحديث^(٨). وفي رواية: إنه كذلك في الغرس والزرع، وكذلك

(١) وهو أعشى باهلة كما في إصلاح المنطق ص ٣٠، والكامل ٣/ ١٤٣١.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١١١.

(٣) الصحاح (سخر) من قوله: والتأنيث للكلمة... إلى هذا الموضع.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٤٢٤.

(٥) أحكام القرآن للكلبي الطبري ٣/ ٣٣٣.

(٦) هذا عجز بيت صدره: «موت التقى حياة لا انقطاع لها»، وقائله سابق بن عبد الله البربري، وهو في زهر الأكم في الأمثال والحكم ١/ ١٧٤-١٧٥.

(٧) في أحكام القرآن ٣/ ١٤٢٤.

(٨) كلمة الحديث من (م)، والحديث سلف ٨/ ١.

فيمن ماتَ مرابطاً يُكْتَبُ له عمله إلى يوم القيامة. وقد بيناه في آخر «آل عمران»^(١) والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مِنْ رِزْقِ جَنَّةٍ النَّعِيمِ﴾ دعاء بالجنة وبمن يرثها، وهو يردُّ قول بعضهم: لا أسألُ جنةً ولا ناراً.

قوله تعالى: ﴿وَأَغْفِرْ لَأَيِّئٍ إِنَّكَ كَانَ مِنَ الصَّالِّينَ﴾ كان أبوه وعده في الظاهر أن يؤمن به، فاستغفر له لهذا، فلمَّا بانَ أنه لا يفي بما قال تبرأ منه. وقد تقدّم هذا المعنى^(٢). ﴿إِنَّكَ كَانَ مِنَ الصَّالِّينَ﴾ أي: المشركين^(٣). و«كان» زائدة.

﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا تفضحني على رؤوس الأشهاد، ولا تعذبني يوم القيامة^(٤). وفي البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ إبراهيمَ يرى أباه يوم القيامة عليه العبرةُ والفترةُ» والفترة هي الفترة. وعنه عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيمُ أباه فيقول: يا ربِّ، إنَّكَ وعدتني ألا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فيقول الله تعالى: إنِّي حرَّمْتُ الجنةَ على الكافرين» انفرد بهما البخاري رحمه الله^(٥).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ «يَوْمَ» بدلٌ من «يَوْمَ» الأوَّل. أي: يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ أحدًا^(٦). والمراد بقوله: ﴿وَلَا بَنُونَ﴾ الأعوان؛ لأنَّ الابنَ إذا لم ينفعْ فغيره متى ينفع؟! وقيل: ذَكَرَ البنين؛ لأنَّه جرى ذِكْرُ والدِ إبراهيم، أي: لم ينفعه إبراهيم.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ هو استثناءٌ من الكافرين، أي: لا ينفعه ماله ولا بنوه.

(١) ٤٨٩/٥.

(٢) ٤٠١-٤٠٠/١٠.

(٣) الوسيط ٤٥٦/٣.

(٤) سلف هذا المعنى ٤٧٧/٥.

(٥) في صحيحه (٤٧٦٨-٤٧٦٩).

(٦) إملاء ما منَّ به الرحمن للمكبري على هامش الفتوحات الإلهية ١١٦/٤.

وقيل: هو استثناء من غير الجنس، أي: لكن «مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» ينفعه لسلامة قلبه^(١). وخصَّ القلب بالذكر؛ لأنه الذي إذا سَلِمَ سَلِمَتِ الجوارح، وإذا فسد فسدت سائر الجوارح. وقد تقدّم في أوّل «البقرة»^(٢). واختلف في القلب السليم ف قيل: من الشكّ والشرك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد. قاله قتادة وابن زيد وأكثر المفسرين. وقال سعيد بن المسيّب: القلب السليم: الصحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأنّ قلب الكافر والمنافق مريض؛ قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: ٧]. وقال أبو عثمان النيسابوري^(٣): هو القلب الخالي عن البدعة، المطمئن إلى السُنّة. وقال الحسين^(٤): سليمٌ من آفة المال والبنين^(٥). وقال الجُنيد: السليم في اللغة: اللديغ؛ فمعناه: أنه قلب كاللديغ من خوف الله^(٦). وقال الضّحّاك: السليم: الخالص^(٧).

قلت: وهذا القول يجمع شتات الأقوال بعمومه وهو حسن، أي الخالص من الأوصاف الذميمة، والمتصف بالأوصاف الجميلة، والله أعلم. وقد رُوِيَ عن عروة أنه قال: يا بَنِيّ لا تكونوا لَعَانِينَ فإن إبراهيم لم يلعن شيئاً قط؛ قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٨). وقال محمد بن سيرين: القلب السليم أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور^(٩). وفي «صحيح مسلم» من حديث

(١) الكشف ١١٨/٣.

(٢) ٢٨٦-٢٨٧/١.

(٣) في (د) و(ز): الساري، وفي (ظ) و(م): السياري، والصواب: أبو عثمان النيسابوري. واسمه سعيد بن أبي سعيد، المعروف بالعلّيار، وهو عالم زاهد، توفي سنة ٤٥٧ هـ. السير ٨٦/١٨-٨٩.

(٤) وهو ابن الفضل، وقد سلف مراراً. ووقع في (م): الحسن.

(٥) من قوله: واختلف في القلب السليم... إلى هذا الموضع في تفسير البغوي ٣/٣٩٠. وذكر الواحدي في الوسيط ٣/٣٥٦ قول ابن المسيّب.

(٦) المحرر الوجيز ٤/٢٣٥-٢٣٦، وزاد المسير ١٣١/٦.

(٧) النكت والعيون ٤/١٧٧.

(٨) أخرجه الطبري ١٩/٥٦٥.

(٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢/٩٠.

أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير»^(١) يريد - والله أعلم - أنها مثلها في أنها خالية من كل ذنب، سليمة من كل عيب، لا خبرة لهم بأمور الدنيا، كما روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ قال: «أكثر أهل الجنة البُلَّة» وهو حديث صحيح^(٢). أي: البُلَّة عن معاصي الله. قال الأزهري^(٣): الأبلَّة هنا: هو الذي طُبِعَ على الخير، وهو غافل عن الشر لا يعرفه. وقال القتيبي^(٤): البُلَّة: هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس.

قوله تعالى: ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ٩٠ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ٩١ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٩٢ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ٩٣ فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ٩٤ وَجُنُودٌ إِبِلَسَ أَجْعَمُونَ ٩٥ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ٩٦ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٩٧ إِذْ سُوِّبَكُمْ رَبِّ الْمَلَمِينَ ٩٨ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ٩٩ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ١٠١ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٠٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْغَرِيزُ الرَّحِيمُ ١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قُرِبَتْ وَأَدْنِيَتْ لِيَدْخُلُوهَا^(٥). وقال

(١) صحيح مسلم (٢٨٤٠). وأخرجه أحمد (٨٣٨٢).

(٢) بل هو ضعيف، فقد أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١٩٨٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٩٨٢)، وابن عدي في الكامل ٣/ ١١٦٠، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٩٠)، والبيهقي في الشعب (١٣٦٧) من طريق سلامة بن روح، عن عقيل، عن الزهري، عن أنس مرفوعاً. سلامة بن روح قال فيه أبو زرعة: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي محله عندي محل الغفلة، وقد عدَّ هذا من منكراته، ثم هو لم يسمع من جد أبيه عقيل بن خالد، إنما أخذ من كتبه.

وأخرجه القضاعي (٩٨٩) من طريق عبد السلام بن محمد الأموي، عن سعيد بن كثير بن عفير، عن يحيى بن أيوب، عن عقيل، به. عبد السلام بن محمد قال فيه الدارقطني: ضعيف جداً. وقال الخطيب: صاحب مناكير.

(٣) في تهذيب اللغة ٦/ ٣١٢.

(٤) في غريب الحديث ١/ ١٠٩.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٧/ ٢.

الرَّجَّاج: قرب دخولهم إياها ونظرهم إليها. ﴿وَبَرَزَتْ﴾ أي: أظهرت^(١) ﴿الْجَحِيمُ﴾ يعني جهنم. ﴿لِّلْغَاوِينَ﴾ أي: للكافرين الذين ضلُّوا عن الهدى. أي: تظهر جهنم لأهلها قبل أن يدخلوها حتى يستشعروا الرَّوعَ والحُزن، كما يستشعر أهل الجنة الفرح؛ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام والأنداد^(٢) ﴿هَلْ يَبْصُرُونَكُمْ﴾ من عذاب الله ﴿أَوْ يَبْصُرُونَ﴾ لأنفسهم^(٣). وهذا كله توبيخ^(٤). ﴿فَكَبَّكُوا فِيهَا﴾ أي: قُلبوا على رؤوسهم. وقيل: دُهِرُوا وأُلْقِيَ بعضهم على بعض. وقيل: جُمِعُوا. مأخوذ من الكَبْكَبَةِ وهي الجماعة. قاله الهروي. وقال النحاس: هو مُشْتَقٌّ من كَوَّكَبِ الشَّيْءِ أي: مُعْظَمِهِ. والجماعة من الخيل كَوَّكَبٌ وكَبْكَبَةٌ^(٥). وقال ابن عباس: جُمِعُوا فطُرحوا في النار. وقال مجاهد: دُهِرُوا. وقال مقاتل: قُذِفُوا^(٦). والمعنى واحد. تقول: دهورت الشيء إذا جمعته ثم قذفته في مَهْوَاةٍ. يُقَالُ: هو يُدْهِرُ اللَّقَمَ إذا كَبَّرَهَا^(٧). ويقال في الدعاء: كَبَّ اللَّهُ عَدُوَّ الْمُسْلِمِينَ، ولا يُقَالُ: أَكَبَّهُ. وكَبْكَبَهُ. أي: كَبَّهُ وَقَلَبَهُ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَبَّكُوا فِيهَا﴾^(٨) والأصل: كُتِّبُوا، فأبدل من الباء الوسطى كافاً استثقلاً لاجتماع الباءات^(٩). قال السُّدِّي: الضمير في «كُتِّبُوا» لمشركي العرب ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ الآلهة ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ من كان من ذُرِّيَّتِهِ^(١٠). وقيل: كلُّ

(١) معاني القرآن للزجاج ٩٤/٤، وعبارة: «ونظرهم إليها» منه، وفي نسخة (ظ): «ونظرهم إياها».

(٢) مجمع البيان ١٦١/١٩.

(٣) تفسير البغوي ٣/٣٩١.

(٤) زاد المسير ١٣١/٦.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٨٩/٥.

(٦) تفسير البغوي ٣/٣٩١، وقول ابن عباس ومجاهد أخرجهما الطبري ١٧/٥٩٧-٥٩٨.

(٧) المحكم لابن سيده (دهر).

(٨) الصحاح (كَبَّ) و(كَبْكَبَ) و(قَلَبَ).

(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣١٨.

(١٠) معاني القرآن للنحاس ٨٩/٥.

مَنْ دَعَاهُ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فَاتَّبِعْهُ^(١). وقال قتادة والكلبي ومقاتل: «الْغَاوُونَ»: هم الشياطين^(٢). وقيل: إِنَّمَا تُلْقَى الْأَصْنَامُ فِي النَّارِ وَهِيَ حَدِيدٌ وَنَحَاسٌ لِيُعَذَّبَ بِهَا غَيْرُهُمْ.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ يعني الإنس والشياطين والغاوين والمعبودين اختصموا حينئذٍ. ﴿تَاللَّهِ﴾ حلفوا بالله ﴿إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في خسارٍ وتَبَارٍ وَخَيْرَةٍ عَنْ الْحَقِّ بَيِّنَةٍ إِذْ^(٣) اتَّخَذْنَا مَعَ اللَّهِ آلِهَةً فَعْبَدْنَاهَا كَمَا يُعْبَدُ، وهذا معنى قوله: ﴿إِذْ سَأَلْتُمْ رَبِّيَ الْغَالِيِينَ﴾ أي: في العبادة، وأنتم لا تستطيعون الآن نصرنا ولا نصّر أنفسكم.

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ يعني الشياطين الذين زينوا لنا عبادة الأصنام. وقيل: أسلافنا الذين قلّدناهم. قال أبو العالية وعكرمة: «الْمُجْرِمُونَ» إبليس وابن آدم القاتل هما أول من سنَّ الكفر والقتل وأنواع المعاصي. ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ أي: شفعاء يشفعون لنا من الملائكة والنبیین والمؤمنين^(٤). ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي: صديق مُشْفِق^(٥). وكان عليٌّ ؓ يقول: عليكم بالإخوان، فإنهم عُدَّةُ الدُّنْيَا وَعُدَّةُ الْآخِرَةِ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ أَهْلِ النَّارِ: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾. الرَّمَخْشَرِيُّ: وَجَمَعَ الشَّافِعَ؛ لِكثْرَةِ الشَّافِعِينَ، وَوَحَّدَ الصَّدِيقَ؛ لِقَلَّتِهِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا امْتَحَنَ بِإِرْهَاقِ ظَالِمٍ مَضَتْ جَمَاعَةٌ وَافِرَةٌ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ لَشَفَاعَتِهِ؛ رَحْمَةً لَهُ وَحَسْبَةً، وَإِنْ لَمْ تَسْبِقْ لَهُ بِأَكْثَرِهِمْ مَعْرِفَةً، وَأَمَّا الصَّدِيقُ فَهُوَ الصَّادِقُ فِي وِدَادِكَ، الَّذِي يُهَيِّمُهُ مَا يُهَيِّمُكَ فَأَعَزُّ مِنْ بَيِّضِ الْأَنْوَقِ^(٦)؛ وعن بعض الحكماء أنه سُئِلَ عَنِ الصَّدِيقِ فَقَالَ: اسْمٌ لَا

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٨٤، وتفسير الطبري ١٧/ ٥٩٨ بنحوه.

(٢) تفسير البغوي ٣/ ٣٩١. وذكره النحاس في معاني القرآن ٥/ ٩١، والماوردي في النكت والعيون ٤/ ١٧٨ عن قتادة. وأخرجه عنه الطبري ١٧/ ٥٩٨.

(٣) في (د) و(ز) و(م): إذا.

(٤) تفسير البغوي ٣/ ٣٩١ ونسب القول الأول لمقاتل والقول الثاني للكلبي. وقول عكرمة أخرجه الطبري ١٧/ ٥٩٩.

(٥) أخرجه الطبري ١٧/ ٦٠٠ عن مجاهد بلفظ: شفيق.

(٦) قال الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ٤٤: الأنوق: الرِّخْمَةُ، وعَزَّ بَيَضُهَا لِأَنَّهُ لَا يُظْفَرُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ أَوْكَارُهَا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَالْأَمَاكِنِ الصَّعْبَةِ.

معنى له . ويجوز أن يُريد بالصدِّيق الجمع^(١). والحميم: القريب والخاص، ومنه حَامَّةُ الرجل، أي: أقرباؤه، وأصل هذا من الحميم: وهو الماء الحار، ومنه الحَمَام والْحُمَّى، فحَامَّةُ الرَّجُلِ الذين يحرقُهم ما أحرقه؛ يقال: وهو حُزَانَتُهُ، أي: يُحْزِنُهُمْ ما يُحْزِنُهُ^(٢). ويقال: حُمَّ الشيء وأَحَمَّ إذا قُرَّبَ، ومنه الحُمَّى؛ لأنها تُقَرَّبُ من الأجل. وقال علي بن عيسى: إنما سُمِّيَ القريبُ حميمًا؛ لأنه يَحْمَى لغضبِ صاحبه، فجعله مأخوذًا من الحَمِيَّة. وقال قتادة: يَذْهَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَوَدَّةَ الصَّدِّيقِ وَرِقَّةَ الحَمِيمِ^(٣). ويجوز: «ولا صَدِيقٌ حَمِيمٌ» بالرفع على موضع «مِنْ شَافِعِينَ»؛ لأنَّ «مِنْ شَافِعِينَ» في موضع رفع، وَجَمْعُ صَدِيقٍ أَصْدِقَاءُ وَصُدَقَاءُ وَصِدَاقٌ، ولا يُقال: صُدُقٌ؛ للفرق بين النعت وغيره. وحكى الكوفيُّون أنه يُقال في جمعه: صُدَقَان. النَّحَّاس: وهذا بعيد؛ لأنَّ هذا جمعٌ ما ليس بنعتٍ، نحو: رَغِيفٌ وَرُغْفَانٍ. وحكوا أيضًا: صَدِيقٌ وَأَصَادِقُ. وَأَفَاعِلُ إنما هو جمع أَفْعَلٍ إذا لم يكن نعتًا نحو: أَشْجَعُ وَأَشَاجِعُ. ويُقال: صَدِيقٌ لِلوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ وَلِلْمَرْأَةِ^(٤)؛ قال الشاعر:

نَصَبْنِ الْهُوَى ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَعْيُنِ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ^(٥)

ويُقال: فَلَانٌ صَدِيقِي، أي: أَخَصُّ أَصْدِقَائِي، وَإِنَّمَا يُصَغَّرُ عَلَى جِهَةِ الْمَدْحِ، كَقَوْلِ حُبَابِ بْنِ الْمُنْذَرِ: (أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ، وَغُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ) ذكره الجوهري^(٦). النَّحَّاس: وَجَمْعُ حَمِيمٍ أَحِمَاءٌ وَأَحِمَّةٌ، وَكَرِهُوا أَفْعَاءَ لِلتَّضْعِيفِ. ﴿فَلَوَّ

(١) الكشف ١١٩/٣.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٩٠/٥.

(٣) النكت والعيون ١٧٨/٤-١٧٩.

(٤) إعراب القرآن ١٨٥/٣.

(٥) قائله جرير، وهو في ديوانه ٣٧٢/١، وفيه: «بِأَسْنُهُمْ» بدل: «بِأَعْيُنِي». والمعنى كما يقول شارحه: اسْتَمَلْنَا أَهْوَاءَنَا فَمَالَتْ إِلَيْهِنَّ.

(٦) في الصحاح (صدق). الْجَذَلُ واحد الأجدال: وهي أصول الحطب العظام، والجَذَلُ المحكك: الذي يُنْصَبُ فِي الْمَعَاظِنِ لْتَحَكَّ بِهِ الْإِبِلُ الْجَرَبِيُّ، أَرَادَ أَنَّهُ يَشْفِي بَرَايَهُ وَتَدْبِيرَهُ. الصَّحَاحُ (جذل) و(حكك). والعُذِيقُ تصغير عُذْقٍ: وهي النخلة. والترجيب هنا: إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط. المحكم لابن سيده (رجب).

أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴿١٠٤﴾ «أَنَّ» في موضع رفع، المعنى: ولو وقع لنا رجوع إلى الدنيا لَأَمَّا حَتَّى
يَكُونَ لَنَا شَفَعَاءُ ﴿١٠٥﴾. تَمَنُّوا حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ التَّمَنِّي. وإنما قالوا ذلك حين شفع الملائكة
والمؤمنون؛ قال جابر بن عبد الله: قال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ: مَا
فَعَلَ فَلَانٌ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ» ﴿١٠٦﴾، فلا يزالُ يَشْفَعُ لَهُ حَتَّى يُشَفَّعَهُ اللَّهُ فِيهِ، فإذا نجا
قال المشركون: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ ﴿١٠٧﴾. وقال الحسن: ما اجتمع مَلَأٌ
عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، فِيهِمْ عَبْدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا شَفَّعَهُ اللَّهُ فِيهِمْ، وَإِنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ لَيَشْفَعُ
بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ وَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ شَافِعُونَ مُشَفَّعُونَ. وقال كعب: إِنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا
صَدِيقَيْنِ فِي الدُّنْيَا، فَيَمُرُّ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُجَرُّ إِلَى النَّارِ، فيقول له أخوه: واللَّهِ
مَا بَقِيَ لِي إِلَّا حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ أَنْجُو بِهَا، خُذْهَا أَنْتَ يَا أَخِي فَتَنْجُو بِهَا مِمَّا أَرَى، وَأَبْقِ
أَنَا وَإِيَّاكَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ. قال: فيأمرُ اللهُ بهما جميعاً فيدخلان الجنة.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ تقدّم والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبُوءَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْقُوتَ ﴿١٠٩﴾ إِنِّي
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١١﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٣﴾ قَالُوا أَنْزِلْ لَكَ وَاتَّبِعَكَ الْأَرْضَ ذُلُونَ ﴿١١٤﴾
قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٥﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٦﴾ وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٧﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٨﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١٢٠﴾ فَأَفْنَعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فِتْنَةً وَيُنْجِي وَمَنْ مَعِيَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ فَأَجْزِيَنَّهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٣﴾
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبُوءَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال: «كَذَبَتْ» والقومُ مُذَكَّرٌ؛ لأنَّ المعنى:

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٨٥ .

(٢) في (م): الجحيم ، وكلاهما بمعنى .

(٣) الوسيط ٣/ ٣٥٧ ، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩١ .

كَذَّبَتْ جَمَاعَةٌ قَوْمِ نُوحٍ، وَقَالَ: «الْمُرْسَلِينَ» لِأَنَّ مَنْ كَذَّبَ رَسُولًا فَقَدْ كَذَّبَ الرِّسْلَ؛ لِأَنَّ كُلَّ رَسُولٍ يَأْمُرُ بِتَصْدِيقِ جَمِيعِ الرِّسْلِ. وَقِيلَ: كَذَّبُوا نُوحًا فِي النُّبُوَّةِ وَفِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ مَجِيءِ الْمُرْسَلِينَ بَعْدَهُ. وَقِيلَ: ذَكَرَ الْجِنْسَ وَالْمُرَادُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١). وَقَدْ مَضَى هَذَا فِي «الْفِرْقَانِ»^(٢).

﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ أَي: ابْنُ أَبِيهِمْ وَهِيَ أُخُوَّةُ نَسَبٍ لَا أُخُوَّةُ دِينٍ^(٣). وَقِيلَ: هِيَ أُخُوَّةُ الْمَجَانَسَةِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٤] وَقَدْ مَضَى هَذَا فِي «الْأَعْرَافِ»^(٤). وَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ. يُرِيدُونَ: يَا وَاحِدًا مِنْهُمْ. الزَّمَخْشَرِيُّ: وَمِنْهُ بَيْتُ الْحِمَاسَةِ:

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا^(٥)
﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أَي: أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أَي: صَادَقٌ فِيمَا أُبَلِّغُكُمْ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى. وَقِيلَ: «أَمِينٌ» فِيمَا بَيْنَكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَرَفُوا أَمَانَتَهُ وَصِدْقَهُ مِنْ قَبْلِ؛ كَمُحَمَّدٍ ﷺ فِي قَرِيشٍ.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَي: فَاسْتَتِرُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عِقَابِهِ. ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أَي: لَا طَمَعَ لِي فِي مَالِكُمْ. ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ أَي: مَا جَزَانِي ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ كَرَّرَ تَأْكِيدًا.
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَنْزِلْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ فِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

(١) معاني القرآن للزجاج ٩٥/٤.

(٢) ٤١٠/١٥.

(٣) الوسيط ٣٥٧/٣.

(٤) ٢٦٢/٩.

(٥) الكشف ١٢٠/٣، والبيت في الحماسة البصرية ٢٩/١، وقائله قُرَيْطُ بْنُ أَيْفٍ كَمَا فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ.

٤٤١/٧.

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ أي: نُصَدِّقُ قَوْلَكَ^(١)؟ ﴿وَأَتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ الواو للحال، وفيه إضمارُ قد، أي: وقد أَتَّبَعَكَ^(٢). «الْأَرْدَلُونَ» جمع الأرذل، المُكْسَّرُ الأراذل، والأنثى الرُّذْلَى، والجمع الرُّذُل. قال النحاس: ولا يجوز حذف الألف واللام في شيء من هذا عند أحد من النحويين عَلِمْنَاهُ^(٣). وقرأ ابن مسعود والضحاك ويعقوب الحضرمي وغيرهم: «وَأَتَّبَاعُكَ الْأَرْدَلُونَ»^(٤). النحاس: وهي قراءة حسنة، وهذه الواو أكثر ما^(٥) تتبعها الأسماء، والأفعال بعد. وأتباع جمع تبع، وتبع^(٦) يكون للواحد والجمع؛ قال الشاعر:

لَه تَبَعَ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ عَلَى مَنْ يُدَانِي صَيِّفٌ وَرَبِيعٌ^(٧)
وارتفاع «أَتَّبَاعُكَ» يجوز أن يكون بالابتداء، و«الْأَرْدَلُونَ» الخبر، التقدير: أَنُؤْمِنُ لَكَ وإنما أتباعك الأرذلون. ويجوز أن يكون معطوفاً على الضمير في قوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ والتقدير: أَنُؤْمِنُ لَكَ نحن وأتباعك الأرذلون فنُعَدُّ منهم؛ وحسن ذلك الفصل بقوله: «لَكَ»^(٨) وقد مضى القول في الأراذل في سورة «هود»^(٩) مستوفى. ونزيده هنا بياناً وهي:

(١) الوسيط ٣/ ٣٥٧.

(٢) الكشف ٣/ ١٢٠.

(٣) إعراب القرآن ٣/ ١٨٦.

(٤) المحتسب ٢/ ١٣١، وذكر هذه القراءة أيضاً عن طلحة وابن السميع وسعيد بن أبي سعيد الأنصاري، وهي قراءة شاذة.

(٥) في (د) و(ز) و(م): أكثرها.

(٦) في (م): وتبع.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٩٠ - ٩١، والبيت نُسِبَ في المفضليات ص ٢٧٢ إلى متمم بن نويرة.

(٨) المحتسب ٢/ ١٣١، ومجمع البيان ١٩/ ٦٤.

(٩) ٩٨/ ١١ - ١٠٠.

الثانية: فقيل: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ بَنُوهُ وَنَسَاؤُهُ وَكُنَّاتُهُ وَبَنُو أَبِيهِ^(١)، واختُلِفَ هل كان معهم غيرهم أم لا؟ وعلى أن الوجهين كان فالكلُّ صالحون، وقد قال نوح: ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والذين معه هم الذين اتَّبَعُوهُ، ولا يلحقهم من قول الكفرة شَيْنٌ وَلَا دَمٌ، بل الأردلون هم المكذَّبون لهم. قال السُّهيلي: وقد أُغْرِيَ كثيرٌ من العوام بمقالة رُوِيَتْ في تفسير هذه الآية: هم الحاكَّة والحجَّامون، ولو كانوا حاكَّة كما زعموا لكان إيمانهم بنبيِّ الله واتباعهم له مشرفاً لهم^(٢) كما تشرَّف بِلَالٌ وَسَلْمَانٌ بسبقهما للإسلام، فهما من وجوه أصحابِ النبي ﷺ ومن أكابرهم، فلا ذرية نوح كانوا حاكَّة ولا حجَّامين، ولا قولُ الكفرة في الحاكَّة والحجَّامين إن كانوا آمنوا بهم أَرْدَلُون ما يلحق اليوم بحاكتنا ذمًّا ولا نقصاً؛ لأنَّ هذه حكاية عن قول الكفرة إلا أن تُجعل الكفرة حجة ومقاتلتهم أصلاً، وهذا جهلٌ عظيم^(٣). وقد أعلم الله تعالى أنَّ الصناعات ليست بضائرة في الدين^(٤).

قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «كان» زائدة، والمعنى: وما علمي بما يعملون، أي: لم أَكَلِّفِ العلمَ بأعمالهم، إنما كُلفْتُ أن أدعوهم إلى الإيمان^(٥)، والاعتبار بالإيمان لا بالحِرَف والصَّنائع، وكأنَّهم قالوا: إنما اتَّبَعْتُ هؤلاء الضعفاء طمعاً في العِزَّة والمال، فقال: إني لم أَقِفْ على باطن أمرهم، وإنما إليَّ ظاهرهم. وقيل: المعنى: إني لم أعلم أنَّ الله يهديهم ويضلُّكم، ويُرشدُهم ويغويكم، ويوفِّقهم ويخذلُّكم^(٦). ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ أي: في أعمالهم وإيمانهم ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ وجواب «لو» محذوف، أي: لو شعرتُم أنَّ حسابهم على ربِّهم لما عِثِمْتُمُوهم

(١) في (د) و(ز) و(م): ابنه.

(٢) كلمة «لهم» ليست في (د) و(ز) و(م).

(٣) التعريف والإعلام ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٩٥/٤.

(٥) الوسيط ٣/٣٥٧، وزاد المسير ٦/١٣٥.

(٦) تفسير البغوي ٣/٣٩٣.

بصنائعهم^(١). وقراءة العامة: «تَشْعُرُونَ» بالتاء على المخاطبة للكفار وهو الظاهر. وقرأ ابن أبي عبلة ومحمد بن السَّمِيفَع: «لو يَشْعرون» بالياء^(٢)، كأنه خبرٌ عن الكفار وترك الخطاب لهم، نحو قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَاحِ وَجَرَيْنَ رِجَمًا﴾ [يونس: ٢٢]. وَرُوي أَنَّ رجلاً سأل سفيان عن امرأة زنت وقتلت ولدها وهي مسلمة هل يُقَطَّعُ لها بالنار؟ فقال: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لخساسة أحوالهم وأشغالهم. وكأنهم طلبوا منه طرد الضعفاء كما طلبته قريش.

﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يعني: إن الله ما أرسلني أخصُّ ذوي الغنى دون الفقراء، إنما أنا رسولٌ أبلغكم ما أرسلتُ به، فمن أطاعني فذلك السعيدُ عند الله وإن كان فقيراً.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ﴾ أي: عن سبِّ آلهتنا وعيبِ ديننا^(٣) ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ أي: بالحجارة. قاله قتادة. وقال ابن عباس ومقاتل: من المقتولين^(٤). قال الثُمَالِيُّ: كلُّ رَجَمٍ^(٥) في القرآن فهو القتل، إلا في مريم [الآية: ٤٦]: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي: لأسبِّبَنَّكَ. وقيل: «مِنَ الْمَرْجُومِينَ»: من المشتومين. قاله السُّدِّي. ومنه قول أبي داود^(٦).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوِيٌّ كَذِبُونٌ . فَاذْفَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَيَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ذلك

(١) الوسيط ٣/٣٥٨، وتفسير البغوي ٣/٣٩٣، وزاد المسير ٦/١٣٥.

(٢) وذكرها ابن خالويه في الشاذة ص ١٠٧ عن الأعرج وأبي زرعة.

(٣) تفسير الطبري ١٧/٦٠٣.

(٤) الوسيط ٣/٣٥٨، وتفسير البغوي ٣/٣٩٣، وزاد المسير ٦/١٣٥.

(٥) في (د) و(ز) و(م): مرجومين.

(٦) في (م): أبي دؤاد. وهذا الكلام في النكت والعيون ٤/١٧٩، وقول أبي داود هو:

صَدَّتْ غُرَاةٌ مَعْدُ أَنْ تُرَاجِمَنِي كما يصدون عن لب كجفان

لَمَّا يَشْسَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ. وَالْفَتْحَ الْحُكْمَ وَقَدْ تَقَدَّمَ^(١).

﴿فَالْيَحْيَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ يريدُ السفينة، وقد مضى ذِكْرُهَا^(٢).
والمشحون: المملوء^(٣)، والشحن: ملء السفينة بالناس والدواب وغيرهم^(٤). ولم
يؤنثِ الْفُلْكَ هَاهُنَا؛ لِأَنَّ الْفُلْكَ هَاهُنَا وَاحِدٌ لَا جَمْعَ.

﴿ثُمَّ أَفْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ أي: بعد إنجائنا نوحاً وَمَنْ آمَنَ^(٥).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١١٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَنْتَقُونَ ١١٧ إِنْ
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١١٨ فَانْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١١٩ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٢٠ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَبْنُونَ ١٢١ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ
تُخْلَدُونَ ١٢٢ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ ١٢٣ فَانْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٢٤ وَانْقُوا أَلَدَى
أَمْدُكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٢٥ أَمْدُكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ ١٢٦ وَحَشَّتْ وَعْيُونِ ١٢٧ إِنْ أَحَافَ عَلَيْكُمْ
عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٢٨ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَطَّ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ١٢٩ إِنْ
هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ١٣٠ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ١٣١ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ١٣٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٣٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٣٤

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ التَّانِيثُ بِمَعْنَى الْقَبِيلَةِ وَالْجَمَاعَةِ^(٦). وَتَكْذِيبُهُمُ
الْمُرْسَلِينَ كَمَا تَقَدَّمَ. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَنْتَقُونَ . إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَانْقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بَيَّنُّ الْمَعْنَى، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(١) ٢١٤/٢ .

(٢) ٤٩٤/٢ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٩٥/٤ .

(٤) الوسيط ٣٥٨/٣ ، وتفسير البغوي ٣٩٣/٣ ، وزاد المسير ١٣٥/٦ .

(٥) المصادر السابقة.

(٦) مجمع البيان ١٦٩/١٩ .

قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَبْنُونَ﴾ الرِّيعُ: ما ارتفع من الأرض في قول ابن عباس وغيره، جمع رِيعَة. وكم رِيعُ أرضك؟ أي: كم ارتفاعها^(١). وقال قتادة: الرِّيعُ: الطريق. وهو قول الضحَّاك والكلبي ومقاتل والسُّدي. وقاله ابن عباس أيضاً^(٢). ومنه قول المُسيَّب بن عَلس:

فِي الْآلِ يَخْفِضُهَا وَيَرْفَعُهَا رِيعٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلٌ^(٣)
شَبَّهَ الطَّرِيقَ بِثَوْبٍ أَيْضُ^(٤). النَّحَّاسُ: ومعروفٌ في اللغة^(٥) أن يُقالَ لِمَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ: رِيعٌ، وَلِلطَّرِيقِ: رِيعٌ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

طَرَأُ الْخَوَافِي مَشْرِقٌ فَوْقَ رِيعَةٍ نَدَى لَيْلِهِ فِي رَيْشِهِ يَتَرَقَّرُ^(٦)
وَقَالَ عِمَارَةُ: الرِّيعُ: الْجَبَلُ، الْوَاحِدُ رِيعَةٌ، وَالْجَمْعُ رِيَاعٌ^(٧). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْفَجُّ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ. وَعَنْهُ: الثَّنِيَّةُ الصَّغِيرَةُ. وَعَنْهُ: الْمَنْظَرَةُ^(٨). وَقَالَ عِكْرَمَةُ وَمِقَاتِلُ: كَانُوا يَهْتَدُونَ بِالنُّجُومِ إِذَا سَافَرُوا، فَبَنُوا عَلَى الطَّرِيقِ أَمْثَالاً طَوَالاً لِيَهْتَدُوا بِهَا؛ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿آيَةً﴾ أَي: عَلَامَةٌ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: الرِّيعُ: بَنِيَانُ الْحَمَامِ؛ دَلِيلُهُ: ﴿تَبْنُونَ﴾ أَي: تَلْعَبُونَ^(٩)؛ أَي: تَبْنُونَ بِكُلِّ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ آيَةً عَلَمًا تَلْعَبُونَ بِهَا عَلَى مَعْنَى

(١) معاني القرآن للزجاج ٩٦/٤.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٩٢/٥، والنكت والعيون ١٨٠/٤، والوسيط ٣٥٨/٣، وتفسير البغوي ٣٩٣/٣. وأخرجه الطبري ٦٠٨/١٧ عن ابن عباس ؓ.

(٣) الصحاح (ريع) و(سحل).

(٤) النكت والعيون ١٨٠/٤.

(٥) في معاني القرآن ٩٢/٥.

(٦) قائله ذو الرمة، وهو في ديوانه ٤٨٨/١، وفيه: «واقع» بدل «مشرق»، وقد قاله وهو يصف بازياء. قال شارحه: طراق: بعضه على بعض. الخوافي: ما دون القوادم من جناح الطائر. يترقق: يجيء ويذهب.

(٧) الصحاح (ريع).

(٨) أخرج تلك الأقوال الطبري ٦٠٨/١٧-٦٠٩.

(٩) تفسير البغوي ٣٩٣/٣. وأخرج قول مجاهد الطبري ٦١٠/١٧.

أبنية الحمام وبروجها. وقيل: تعبثون بمن يمرُّ في الطريق؛ أي: تبثون بكل موضع مُرتفع لشرفوا على السَّابِلَةِ فتسخروا منهم^(١). وقال الكلبي: إنَّه عبثُ العَشَّارين بأموال من يمرُّ بهم. ذكره الماوردي^(٢). وقال ابن الأعرابي: الرِّيع: الصَّومعة، والرِّيع: البرج من الحمام يكون في الصحراء. والرِّيع: التلُّ العالي. وفي الرِّيع لغتان: كسر الراء وفتحها، وجمعها أرياع. ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿وَتَتَخِدُونَ مَصَانِعَ﴾ أي: منازل. قاله الكلبي. وقيل: حُصُونًا مُشَيَّدة. قاله ابن عباس ومجاهد^(٣). ومنه قول الشاعر:

تَرَكْنَا دِيَارَهُمْ مِنْهُمْ قِفَارًا وَهَدَّمْنَا الْمَصَانِعَ وَالْبُرُوجَا
وقيل: قصوراً مُشَيَّدة. وقاله مجاهد أيضاً. وعنه: بروج الحمام. وقاله السُّدِّي^(٤).

قلت: وفيه بُعدٌ عن مجاهد؛ لأنَّه تقدَّم عنه في الرِّيع أنه بنيان الحمام، فيكون تكراراً في الكلام. وقال قتادة: مَاجِلٌ للماء تحت الأرض^(٥). وكذا قال الرَّجَّاج^(٦): إنها مصانع الماء، واحدها مَصْنَعَةٌ وَمَصْنَعٌ. ومنه قول لبيد^(٧):

بَلَيْنَا وَمَا تَبَلَّى النُّجُومُ الطَّوَالِغُ وَتَبَقَّى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
الجوهري: المَصْنَعَةُ: كالحوض يجتمع فيها ماء المطر، وكذلك المَصْنَعَةُ بضمَّ النون، والمصانع: الحصون^(٨). وقال أبو عبيدة: يُقال لكل بناء: مصنعة^(٩). حكاه

(١) الوسيط ٣/٣٥٨، وتفسير البغوي ٣/٣٩٣، وزاد المسير ٦/١٣٦.

(٢) في النكت والعيون ٤/١٨١.

(٣) أخرجه الطبري ١٧/٦١١ عن مجاهد.

(٤) النكت والعيون ٤/١٨١.

(٥) النكت والعيون ٤/١٨١، وزاد المسير ٦/١٣٦. وأخرجه بنحوه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٧٤، والطبري ١٧/٦١١.

(٦) في معاني القرآن له ٤/٩٦.

(٧) في ديوانه ص ١٦٨.

(٨) الصحاح (صنع).

(٩) مجاز القرآن ٢/٨٨.

المَهْدَوِي. وقال عبد الرزاق: المصانع عندنا بلغة اليمن: القصور العادية.

﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي: كي تخلدوا. وقيل: لعلَّ استفهامٌ بمعنى التوبيخ^(١)، أي: فهل تَخْلُدُونَ؟ كقولك: لعلَّك تشمتني، أي: هل تشمتني. روي معناه عن ابن زيد. وقال الفرّاء: كيما تخلدون لا تتفكرون في الموت^(٢). وقال ابن عباس وقتادة: كأنكم خالدون باقون فيها^(٣). وفي بعض القراءات «كَأَنَّكُمْ تُخْلَدُونَ» ذكره النحاس^(٤). وحكى قتادة: أنها كانت في بعض القراءات «كَأَنَّكُمْ خَالِدُونَ»^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ البطش: السَّطْوَةُ والأخذ بالعنف، وقد بَطَشَ به يَبْطِشُ وَيَبْطِشُ بَطْشًا، وباطشَه مُبَاطِشَةً^(٦). وقال ابن عباس ومجاهد: البَطْشُ: العَسْفُ قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط^(٧). ومعنى ذلك: فعلتم ذلك ظلماً. وقال مجاهد أيضاً: هو ضربٌ بالسياط^(٨). ورواه مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر فيما ذكر ابن العربي^(٩). وقيل: هو القتل بالسيف في غير حق. حكاه يحيى بن سَلَام. وقال الكلبي والحسن: هو القتل على الغضب من غير تَبَتُّبٍ. وكلُّه يرجع إلى قول ابن عباس. وقيل: إنه المؤاخذه على العمد والخطأ من غير عفوٍ ولا إبقاء^(١٠). قال ابن العربي^(١١): ويؤيد ما قال مالك قولُ الله تعالى عن موسى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ

(١) المحرر الوجيز ٢٣٨/٤.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٨١/٢ دون عبارة: لا تتفكرون بالموت، وهي في معاني القرآن للزجاج ٩٦/٤.

(٣) أخرجه الطبري ٦١٢/١٧ عنهما بنحوه.

(٤) في معاني القرآن ٩٣/٥، ونسبها في المحرر الوجيز ٢٣٨/٤ إلى أبيّ، وهي قراءة شاذة.

(٥) النكت والعيون ١٨١/٤، وهي قراءة شاذة أيضاً.

(٦) الصحاح (بطش).

(٧) معاني القرآن للنحاس ٩٤/٥ عن مجاهد.

(٨) النكت والعيون ١٨٢/٤.

(٩) في أحكام القرآن ١٤٢٥/٣.

(١٠) النكت والعيون ١٨٢/٤، وقول الكلبي ذكره الفراء في معاني القرآن ٢٨١/٢.

(١١) في أحكام القرآن ١٤٢٥/٣.

بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمْوِسَّىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ﴿١٩﴾ [القصص: ١٩] وذلك أن موسى عليه السلام لم يسأل عليه سيفاً ولا طعنه برمح، وإنما وكّزه وكانت منيئته في وكّزته. والبطش يكون باليد، وأقله الوكر والدفع، ويليه السوط والعصا، ويليه الحديد، والكل مذموم إلا بحق.

والآية نزلت خبراً عمّن تقدّم من الأمم، ووعظاً من الله عزّ وجلّ لنا في مجانية ذلك الفعل الذي ذمهم به وأنكره عليهم.

قلت: وهذه الأوصاف المذمومة قد صارت في كثير من هذه الأمة، لا سيّما بالديار المصرية منذ وليئها البحرية^(١)، فيطشون بالناس بالسوط والعصا في غير حق. وقد أخبر ﷺ أن ذلك يكون، كما في «صحيح مسلم»^(٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مُميلات مائلات، رؤوسهنّ كأسنمة البُخْتِ المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». وخرّج أبو داود^(٣) من حديث ابن عمر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».

«جَبَّارِينَ»: قتالين. والجَبَّار: القتال في غير حق، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾. قاله الهروي. وقيل: الجَبَّار: المتسلط العاتي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] أي: بمسلط. قال الشاعر:

سَلَبْنَا مِنَ الْجَبَّارِ بِالسَّيْفِ مُلْكُهُ عَشِيًّا وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ شَوَارِعُ

(١) هم جماعة من الأتراك المماليك اشتراهم الملك الصالح نجم الدين أيوب، وجعلهم بطانته، وأثر بعضهم، وسبب تسميتهم البحرية أن التجار جلبوهم في البحر من بلاد القفجاق. السير ١٩١/٢٣ - ١٩٢.

(٢) (٢١٢٨)، وقد سلف ٣٤١/١٥.

(٣) في سننه (٣٤٦٢)، وقد سلف ٢٩٦/٢.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ تقدم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من الخيرات، ثم فسرها بقوله: ﴿أَمَدَّكُمْ بِاتَّقَاتِهِ وَيَتَنَزَّلُ فِي سَكِينَةٍ﴾ أي: سخر ذلك لكم وتفضل بها عليكم، فهو الذي يجب أن يُعبد ويُشكر ولا يُكفر.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إن كفرتم به وأصررتم على ذلك.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ كل ذلك عندنا سواء، لا نسمع منك، ولا نلوي على ما تقوله. وروى العباس عن أبي عمرو وبشر عن الكسائي: «أَوَعَضْتَ» مدغمة الظاء في التاء^(١)، وهو بعيد؛ لأنَّ الظاء حرفٌ إطباق، إنما يُدغم فيما قُرِبَ منه جدًا وكان مثله ومخرجه.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: دينهم. عن ابن عباس وغيره^(٢). وقال الفرّاء^(٣):

عادةُ الأولين. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «خُلُقُ الْأَوَّلِينَ»، الباقون: «خُلُقُ»^(٤). قال الهروي: وقوله عز وجل: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: اختلافهم وكذبهم، ومن قرأ: «خُلُقُ الْأَوَّلِينَ» فمعناه عادتهم، والعرب تقول: حَدَّثْنَا فلانٌ بأحاديثِ الخلق، أي: بالخرافات والأحاديث المفتعلة^(٥). وقال ابن الأعرابي: الخلق: الدين، والخلق: الطبع، والخلق: المروءة. قال النَّحَّاس^(٦): «خُلُقُ الْأَوَّلِينَ» عند الفرّاء يعني: عادةُ الأولين. وحكى لنا محمد بن الوليد عن محمد بن يزيد قال: «خُلُقُ الْأَوَّلِينَ»: مذهبهم وما جرى عليه أمرهم؛ قال أبو جعفر: والقولان متقاربان،

(١) وذكرهما عنهما أبو حيان في البحر المحيط ٣٣/٧، وذكر أنها رويت عن عاصم وقرأ بها ابن محيصن وهي قراءة شاذة.

(٢) أخرجه الطبري ٦١٤/١٧ عن ابن عباس ؓ.

(٣) في معاني القرآن له ٢٨١/٢.

(٤) السبعة ص ٤٧٢، والتيسير ص ١٦٦.

(٥) وقاله الفرّاء في معاني القرآن ٢٨١/٢.

(٦) في إعراب القرآن ١٨٦/٣-١٨٧.

ومنه الحديث عن النبي ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(١) أي: أحسنهم مذهباً وعادةً وما يجري عليه الأمر في طاعة الله عز وجل، ولا يجوز أن يكون مَنْ كان حسنَ الخُلُقِ فاجراً فاضلاً، ولا أن يكون أكملَ إيماناً من السيِّء الخُلُقِ الذي ليس بفاجر. قال أبو جعفر: وحكي لنا عن محمد بن يزيد أن معنى «خُلُقُ الأولين»: تكذيبهم وتخرضهم، غير أنه كان يميل إلى القراءة الأولى؛ لأنَّ فيها مدح آبائهم، وأكثر ما جاء القرآن في صفتهم مدحهم لأبائهم، وقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وعن أبي قلابة أنه قرأ: «خُلُق» بضم الخاء وإسكان اللام تخفيف «خُلُق». ورواها ابن جبير عن أصحاب نافع عن نافع^(٢). وقد قيل: إن معنى «خُلُقُ الأولين»: دين الأولين^(٣)، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبَرُوا خُلُقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] أي: دين الله. و«خُلُقُ الأولين» عادة الأولين، حياة ثم موت ولا بعث^(٤). وقيل: ما هذا الذي أنكرت علينا من البنيان والبطش إلا عادة من قبلنا، فنحن نفتدي بهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ على ما نفعل.

وقيل: المعنى: خُلُقُ أجسام الأولين، أي: ما خلقنا إلا كخُلُقِ الأولين الذين خَلِقُوا قبلنا وماتوا، ولم ينزل بهم شيء مما تُحذَرنا به من العذاب^(٥).

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَمْلَكْنَاهُمْ﴾ أي: بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ على ما يأتي في «الحاقة»^(٦).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ قال بعضهم: أسلم معه ثلاث مئة ألف

(١) أخرجه أحمد (٧٤٠٢)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة ؓ. وأخرجه أحمد (٢٤٢٠٤)، والترمذي (٢٦١٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) المحرر الوجيز ٢٣٩/٤، وهي قراءة شاذة، والمشهور عن نافع مثل قراءة الجمهور: «خُلُقُ الأولين».

(٣) النكت والعيون ١٨٢/٤.

(٤) تفسير البغوي ٣/٣٩٥.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٩٧/٤ بنحوه.

(٦) عند تفسير الآية (٦).

ومثون، وهلك باقيهم. ﴿وَلَنْ رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هَنَاهَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي نُبِئَا بِقُرْهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَسْهَوْا بِسُوءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَلَنْ رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ذكر قصة صالح وقومه وهم ثمود؛ وكانوا يسكنون الحجر كما تقدّم في «الحجر»^(١) وهي ذوات نخل وزروع ومياه.

﴿أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هَنَاهَا﴾ يعني: في الدنيا ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الموت والعذاب^(٢). قال ابن عباس: كانوا معمرين لا يبقى البنيان مع أعمارهم، ودلّ على قوله: ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] فقرّعهم صالح ووبّخهم وقال: أتنظّون أنكم باقون في الدنيا بلا موت ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾!؟

الزمخشري: فإن قلت: لم قال: «ونخل» بعد قوله: «في جنّات» والجنة^(٣) جَنّاتٍ والجنة^(٤) تتناول النخل أوّل شيء كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج، حتى إنهم

(١) ٢٣٨/١٢.

(٢) زاد المسير ١٣٨/٦، ومجمع البيان ١٧٣/١٩.

(٣) في النسخ: «أو» بديل «في».

(٤) في (د) و(ز) و(م): والجنان.

لَيَذْكُرُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَقْصِدُونَ إِلَّا النَّخْلَ، كما يذكرون النعم ولا يُريدون إلا الإبل؛ قال زهير:

كَأَنَّ عَيْنِي فِي غَرْبِي مُقْتَلَةٌ من النواضح تَسْقِي جَنَّةً سُحْقًا^(١)
يعني النخل؛ والنخلة السُّحُوق: البعيدة الطول^(٢).

قلت^(٣): فيه وجهان: أحدهما: أن يُخَصَّ النخلُ بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيهاً على انفراده عنها بفضلها عنها. والثاني: أن يريد بالجنات غيرها من الشجر؛ لأنَّ اللفظ يصلح لذلك، ثم يعطف عليها النخل. والظَّلْعَة: هي التي تطلع من النَّخْلَة كنصل السيف، في جوفه شَمَارِيخُ الْقَنْوِ، والقَنْو: اسمٌ للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشَمَارِيخُه^(٤). و«هَضِيمٌ» قال ابن عباس: لطيفٌ ما دام في كُفْرَاه. والهَضِيمُ: اللطيف الدقيق، ومنه قولُ امرئ القيس:

عَلَيَّ هَضِيمَ الْكَشْحِ رِيًّا الْمُخْلَحِلِ^(٥)

الجوهري: ويُقال للظَّلْع: هَضِيم، ما لم يخرج من كُفْرَاه؛ لدخول بعضه في بعض. والهَضِيمُ من النساء: اللطيفةُ الْكَشْحِينِ^(٦). ونحوه حكى الهروي؛ قال: هو الْمُنْضَمُّ في وعائه قبل أن يظهر، ومنه رجلٌ هَضِيمُ الْجَنِينِ أي: مُنْضَمُّهُمَا؛ هذا قول أهل اللغة.

(١) الكشف ١٢٣/٣، والبيت في ديوان زهير ص ٣٧، قال شارحه: المقتلة: المذلة يعني الناقة. يقول: كَأَنَّ عَيْنِي من كثرة دموعهما في غربي ناقةٌ يُنْضَح عليها، قد قُتِلَت بالعمل حتى ذَلَّت.

(٢) ينظر الصحاح (سحق).

(٣) يعني الزمخشري.

(٤) الكشف ١٢٣/٣.

(٥) ديوان امرئ القيس ص ١٥، وصدر البيت: «إِذَا قَلْتُ هَاتِي نَوْلِي تَمَائِلْتُ». قال شارحه: نَوْلِي من النوال: وهو العطية. تمائلت: عطفت. رِيًّا: أي: ممثلةً لحماً وشحمًا في موضع الخلخال من ساقها، أي: ليست بناتئة العظام.

(٦) الصحاح (هضم).

وحكى الماوردي وغيره في ذلك اثني عشر قولاً: أحدهما: أنه الرُّطْبُ اللَّيِّن. قاله عكرمة. الثاني: هو المُذَنَّبُ من الرُّطْبِ. قاله سعيد بن جبّير. قال النَّحَّاس: وروى أبو إسحاق عن يزيد - هو ابن أبي زياد كوفيّ ويزيد بن أبي مريم شاميّ - «وَنَخْلٌ طَلَعُهَا هَضِيمٌ» قال: منه ما قد أَرُطِبَ ومنه مُذَنَّب. الثالث: أنه الذي ليس فيه نوى. قاله الحسن. الرابع: أنه الْمُتَهَشَّمُ الْمُتَفَتَّتُ إِذَا مَسَّ تَفَتَّتَ. قاله مجاهد. وقال أبو العالية: يتَهَشَّمُ في الفم. الخامس: هو الذي قد ضَمَرَ بركوب بعضه بعضاً. قاله الضَّحَّاك ومقاتل. السادس: أنه المتلاصق ببعضه ببعض. قاله أبو صخر. السابع: أنه الطَّلُع حين يتفرَّق ويخضر. قاله الضحَّاك أيضاً. الثامن: أنه اليانِعُ النَّضِيج. قاله ابن عباس. التاسع: أنه المُكْتَبِرُ قبل أن ينشَقَّ عنه القِشْرُ. حكاه ابن شجرة؛ قال:

كَأَنَّ حَمُولَةً تُجَلَى عَلَيْهِ هَضِيمٌ مَا يُحَسُّ لَهُ شُقُوقُ

العاشر: أنه الرَّخْو. قاله الحسن. الحادي عشر: أنه الرَّخْصُ اللطيف أوَّل ما يخرج، وهو الطَّلُع النَّضِيدُ. قاله الهروي. الثاني عشر: أنه البَرْنِي^(١). قاله ابن الأعرابي؛ فعيل بمعنى فاعل، أي: هنيء مريء من انهضام الطعام^(٢). والطَّلُع: اسمُ مشتقٍّ من الطَّلُوع وهو الظهور، ومنه طلوع الشمس والقمر والنبات^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا لِفَتْرَيْنَ﴾ النَّحْتُ: النَّجْرُ والْبَرِّي؛ نَحْتَهُ يَنْحِتُهُ - بالكسر - نَحْتًا أي^(٤): بَرَاه، والنُّحَاتُ: البُرَايَةُ. والمِنْحَتُ: ما يُنْحَتُ به^(٥).

(١) وهو ضرب من التمر، أصفر مدوّر، وهو أجود التمر. اللسان (برن).

(٢) النكت والعيون ٤/ ١٨٢-١٨٣ دون القول الخامس والحادي عشر والثاني عشر. وذكر النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٨٧ القول الحادي عشر. وذكر البغوي في تفسيره ٣/ ٣٩٥ القول الأول والرابع والخامس والعاشر. وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٣٨ الأقوال الخمسة الأولى والقول الثامن والتاسع. وأخرج الطبري القول الأول والرابع والسادس والثامن. وقال النحاس في معاني القرآن ٥/ ٩٦: هاضم مريء ولطيف.

(٣) النكت والعيون ٤/ ١٨٣.

(٤) في (د) و(ز) و(م): إذا.

(٥) الصحاح (نحت).

وفي «وَالصَّافَّاتِ» [٩٥] قال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾. وكانوا ينحِتونها من الجبال لَمَّا طَالَتْ أعمارُهم وتهَدَّم بناؤُهم من المَدَرِ.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع^(١): «فَرِهَيْنَ» بغير ألف، الباقون: «فَارِهَيْنَ» بألف^(٢)، وهما بمعنى واحد في قول أبي عبيدة وغيره، مثل: «عِظَاماً نَخِرَةً» و«نَاخِرَةً». وحكاه قطرب، وحكى: فَرَةٌ يَفْرُهُ فهو فَارَةٌ، وَفَرَةٌ يَفْرُهُ فهو فَرَةٌ وفَارَةٌ إذا كان نَشِيطاً. وهو نصبٌ على الحال^(٣). وفرَّقَ بينهما قومٌ فقالوا: «فَارِهَيْنَ»: حاذقين بَنَحْتِهَا. قاله أبو عبيدة^(٤) ورُوي عن ابن عباس وأبي صالح وغيرهما^(٥). وقال عبد الله بن شدَّاد: «فَارِهَيْنَ»: مُتَجَبِّرين^(٦). ورُوي عن ابن عباس أيضاً أن معنى: «فَرِهَيْنَ» بغير ألف: أَشْرَيْنَ بَطْرَيْن. وقاله مجاهد^(٧). ورُوي عنه: شَرِهَيْنَ^(٨). الضحَّاك: كَيْسَيْنَ^(٩). قتادة: مُعْجَبَيْن. قاله الكلبي^(١٠). وعنه: نَاعِمَيْن^(١١). وعنه أيضاً: آمِنَيْن. وهو قول الحسن. وقيل: مُتَخَيِّرَيْن. قاله الكلبي والسُّدِّي. ومنه قول الشاعر:

إِلَى فَرِهِ يُمَاجِدُ كُلَّ أَمْرٍ قَصَدْتُ لَهُ لِأَخْتَبِرَ الطُّبَاعَا
وقيل: مُتَعَجِّبَيْن. قاله خُصِيف^(١٢). وقال ابن زيد: أَقْوِيَاء^(١٣). وقيل: فَرِهَيْن

(١) قوله: «ونافع» من (م).

(٢) السبعة ص ٤٧٢، والتيسير ص ١٦٦.

(٣) إعراب القرآن ١٨٨/٣. وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٨٩/٢.

(٤) في مجاز القرآن ٨٨/٢.

(٥) إعراب القرآن ١٨٧/٣، والنكت والعيون ١٨٣/٤: وأخرجه عنهما الطبري ٦٢١/١٧.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٩٦/٥، وأخرجه الطبري ٦٢٢/١٧.

(٧) إعراب القرآن ١٨٧/٣ ومعاني القرآن للنحاس ٩٦/٥ عن مجاهد، والنكت والعيون ١٨٣/٤، وتفسير البغوي ٣٩٦/٣ عن ابن عباس.

(٨) النكت والعيون ١٨٣/٤، والمحزر الوجيز ٢٤٠/٤، وتفسير البغوي ٣٩٦/٣.

(٩) النكت والعيون ١٨٣/٤، وتفسير البغوي ٣٩٦/٣. وأخرجه الطبري ٦٢٢/١٧.

(١٠) معاني القرآن للنحاس ٩٦/٥ عن قتادة. وأخرجه عنه الطبري ٦٢٣/١٧.

(١١) ذكره البغوي ٣٩٦/٣ عن عكرمة.

(١٢) من قوله: وعنه أيضاً... إلى هذا الموضع من النكت والعيون ١٨٣/٤.

(١٣) المحزر الوجيز ٢٤٠/٤. وأخرجه الطبري ٦٢٣/١٧.

فَرِحِينَ. قاله الأخفش. والعرب تُعاقِبُ بين الهاء والحاء؛ تقول: مَدَّهْتُ وَمَدَّخْتُ^(١)، فالْفَرَةُ: الأَشِيرُ الفَرِحُ، ثم الفرح بمعنى المَرَحِ مَذْمُومٌ؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

قوله تعالى^(٢): ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قيل: المراد الذين عَقَرُوا الناقة. وقيل: التسعة رهط^(٣) الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون^(٤). قال السُّدِّيُّ وغيره: أوحى الله تعالى إلى صالح: إِنَّ قَوْمَكَ سَيَعْفِرُونَ نَاقَتَكَ. فقال لهم ذلك، فقالوا: مَا كُنَّا لِنَفْعَلَ. فقال لهم صالح: إِنَّهُ سَيُولَدُ فِي شَهْرِكُمْ هَذَا غُلَامٌ يَعْقِرُهَا وَيَكُونُ هَلَاكُكُمْ عَلَى يَدَيْهِ. فقالوا: لَا يُولَدُ فِي هَذَا الشَّهْرِ ذَكَرٌ إِلَّا قَتَلْنَاهُ. فُولَدَ لِتِسْعَةٍ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ، فذبحوا أبناءهم، ثُمَّ وَلِدَ لِلْعَاشِرِ فَا بِي أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ، وَكَانَ لَمْ يُولَدْ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ. وَكَانَ ابْنُ الْعَاشِرِ أَزْرَقٌ أَحْمَرٌ، فَنبَتَ نَبَاتًا سَرِيعًا، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بِالتَّسْعَةِ فَرَأَوْهُ قَالُوا: لَوْ كَانَ أَبْنَاؤُنَا أَحْيَاءَ لَكَانُوا مِثْلَ هَذَا. وَغَضِبَ التَّسْعَةُ عَلَى صَالِحٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ سَبَبَ قَتْلِهِمْ أَبْنَاءَهُمْ، فَتَعَصَّبُوا وَتَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لِنُبَيْتِهِ وَأَهْلِهِ. قَالُوا: نَخْرُجُ إِلَى سَفَرٍ فِيرَى النَّاسُ سَفَرَنَا فَنَكُونُ فِي غَارٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ وَخَرَجَ صَالِحٌ إِلَى مَسْجِدِهِ أَتَيْنَاهُ فَقَتَلْنَاهُ، ثُمَّ قَلْنَا: مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ، فَيُصَدِّقُونَنَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّا قَدْ خَرَجْنَا إِلَى سَفَرٍ. وَكَانَ صَالِحٌ لَا يَنَامُ مَعَهُمْ فِي الْقَرْيَةِ، وَكَانَ يَأْوِي إِلَى مَسْجِدِهِ، فَإِذَا أَصْبَحَ أَتَاهُمْ فَوَعظَهُمْ، فَلَمَّا دَخَلُوا الْغَارَ أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا، فَسَقَطَ عَلَيْهِمُ الْغَارُ فَقَتَلَهُمْ، فَرَأَى ذَلِكَ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى ذَلِكَ، فَصَاحُوا فِي الْقَرْيَةِ: يَا عِبَادَ اللَّهِ، أَمَا رَضِيَ صَالِحٌ أَنْ أَمَرَ بِقَتْلِ أَوْلَادِهِمْ حَتَّى قَتَلَهُمْ. فَأَجْمَعَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ عَلَى قَتْلِ النَّاqَةِ. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: إِنَّمَا اجْتَمَعَ التَّسْعَةُ عَلَى سَبِّ صَالِحٍ بَعْدَ

(١) تفسير البغوي ٣/٣٩٦.

(٢) هذه العبارة من (ظ).

(٣) في (م): الرهط.

(٤) هما قول واحد، وقد ذكره البغوي في تفسيره ٣/٣٩٦ عن مقاتل.

عَقَرَهُمُ النَّاقَةُ وَإِنَّذَارِهِم بِالْعَذَابِ^(١) عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ فِي سُورَةِ النَّمْلِ^(٢) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ هو من السَّحَرِ فِي قول مجاهد وقتادة على ما قال المهدي^(٣). أي: أَصِيبَ بِالسَّحَرِ فَبَطَلَ عَقْلُكَ^(٤)؛ لِأَنَّكَ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَلِمَ تَدَّعِي الرِّسَالَةَ دُونَنَا؟ وقيل: من المَعْلَلِينَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. قاله ابن عباس والكلبي وقتادة ومجاهد أيضاً فيما ذكر الثعلبي^(٥). وهو على هذا القول من السَّحَرِ وهو الرِّثَّةُ^(٦)، أي: بَشَرٌ، لَكَ سَحَرٌ أَي: رِثَّةٌ، تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ مِثْلَنَا، كما قال لبيد^(٧):
فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ
قال امرؤ القيس^(٨):

وَنُسَحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ^(٩)

﴿فَأَتِ بِنَاقَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي قولك.

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ هَؤُلَاءِ شَرِبَتْ وَلَكُمُ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ قال ابن عباس: إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَادْعُ اللَّهَ يُخْرِجْ لَنَا مِنْ هَذَا الْجَبَلِ نَاقَةً حَمْرَاءَ عُشْرَاءَ^(١٠)، فَتَضَعُ وَنَحْنُ نَنْظُرُ، وَتَرِدُ

(١) عرائس المجالس ص ٧٠-٧١.

(٢) عند تفسير الآية (٤٨) وما بعدها.

(٣) وذكر هذا القول عنهما البغوي في تفسيره ٣/٣٩٦، وذكره عن مجاهد النحاس في معاني القرآن ٩٧/٥.

(٤) مجمع البيان ١٩/١٧٣.

(٥) وذكره البغوي في تفسيره ٣/٣٩٦ عن ابن عباس.

(٦) المحرر الوجيز ٤/٢٤٠.

(٧) في (د) و(ز) و(ظ): امرؤ القيس، والمثبت من (م).

(٨) في (د) و(ز) و(ظ): أيضاً، والمثبت من (م).

(٩) سلف وما قبله ٢/٢٧٢.

(١٠) وهي التي بلغت في حملها عشرة أشهر. تهذيب اللغة ١/٤١٠.

هذا الماء فتشرب وتغدو علينا بمثله لبناً^(١). فدعا الله وفعل الله ذلك ف «قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ أَي: حَظٌّ مِنَ الْمَاءِ»^(٢)، أَي: لَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ وَلَهَا شِرْبٌ يَوْمَ، فكانت إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله أَوَّلَ النَّهَارِ، وتسقيهم اللبنَ آخِرَ النَّهَارِ، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وأرضهم^(٣)، ليس لهم في يوم ورودها أن يشربوا من شربها شيئاً، ولا لها أن تشرب في يومهم من مائهم شيئاً. قال الفراء: الشُّرب: الحَظُّ مِنَ الْمَاءِ^(٤). قال النَّحَّاسُ: فَأَمَّا الْمَصْدَرُ فيقال فيه: شَرِبَ شَرْباً وَشُرِبَ وَشُرْباً وأكثرها المضمومة؛ لأنَّ المكسورة والمفتوحة يشتركان مع شيءٍ آخر، فيكون الشُّرب الحَظُّ مِنَ الْمَاءِ، ويكون الشُّربُ جمعُ شاربٍ، كما قال:

فَقُلْتُ لِلشُّرْبِ فِي دُرْنِي وَقَدْ ثَمَلُوا^(٥)

إِلَّا أَنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ الْعَلَاءِ وَالْكَسَائِيَّ يَخْتَارَانِ الشُّرْبَ بِالْفَتْحِ فِي الْمَصْدَرِ، وَيَحْتَجَّانِ بِرَوَايَةِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»^(٦). وَلَا تَمْسُوها بِسُوٍّ لَا يَجُوزُ إِظْهَارُ التَّضْعِيفِ هَاهُنَا؛ لِأَنَّهُمَا حَرْفَانِ مُتَحَرِّكَانِ مِنْ جَنْسٍ وَاحِدٍ. ﴿فَيَأْخُذْكُمْ﴾ جَوَابُ النَّهْيِ، وَلَا يَجُوزُ حَذْفُ الْفَاءِ مِنْهُ، وَالْجُزْمُ كَمَا جَاءَ فِي الْأَمْرِ إِلَّا شَيْئاً رُوِيَ عَنِ الْكَسَائِيِّ أَنَّهُ يَجِيزُهُ. ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ أَي: عَلَى عَقْرِهَا لَمَّا أَيقَنُوا بِالْعَذَابِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَنْظَرَهُمْ ثَلَاثاً فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمُ الْعَلَامَةُ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَنَدِمُوا وَلَمْ يَنْفَعَهُمُ النَّدَمُ عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ. وَقِيلَ: لَمْ يَنْفَعَهُمُ النَّدَمُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ

(١) الوسيط ٣/٣٦٠.

(٢) قوله: «من الماء» من (م).

(٣) الوسيط ٣/٣٦٠ عن مقاتل.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٨.

(٥) هذا صدر بيت قائله الأعشى، وهو في ديوانه ص ١٠٧، وعجزه: «شيموا وكيف يشيب الشارب الثمل».

قال الأصمعي: كانت دُرْنِي بَاباً مِنْ أَبْوَابِ فَارَسٍ دُونَ الْحِيرَةِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: بِالْيِمَامَةِ. مَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ. ٥٥٠/٢.

(٦) سلف ٤/٤٦.

يتوبوا، بل طلبوا صالحاً عليه السلام ليقتلوه لما أيقنوا بالعذاب^(١). وقيل: كانت ندامتهم على ترك الولد إذ لم يقتلوه معها. وهو بعيد.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ إلى آخرها. تقدّم. ويقال: إنه ما آمن به من تلك الأمم إلا ألفان وثمان مئة رجل وامرأة. وقيل: كانوا أربعة آلاف. وقال كعب: كان قوم صالح اثني عشر ألف قبيل، كل قبيل نحو اثني عشر ألفاً من سوى النساء والذرية، ولقد كان قوم عاد مثلهم ست مرات.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٦٠ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٦٢ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٦٣ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٤ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ١٦٦ قَالُوا لَنْ نَمْنَعَكَ مِنْ الْفَالِينَ ١٦٧ رَبِّ نَحْنُ وَآهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ١٦٨ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ١٦٩ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ١٧٠ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ١٧١ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ١٧٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٧٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الرَّحِيمُ ١٧٤

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ماضى معناه وقصته في «الأعراف»^(٢) و«هود»^(٣) مستوفى والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ كانوا ينكحونهم في أديارهم، وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء على ما تقدّم في «الأعراف». ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني فروج النساء، فإن الله خلقها للنكاح^(٤). قال إبراهيم بن مهاجر: قال لي مجاهد: كيف يقرأ عبد الله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾؟ قلت:

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٨٨ .

(٢) ٢٧٣/٨ - ٢٨٠ .

(٣) ١٧٣/١١ - ١٩٠ .

(٤) الوسيط ٣/ ٣٦١ .

«وتذرون ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم» قال: الفرج، كما قال: ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ﴾^(١) [البقرة: ٢٢٢]. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: متجاوزون لحدود الله.

﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْهَ يَلُوطَ﴾ عن قولك هذا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ أي: من بلدنا وقريتنا. ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ﴾ يعني اللواط ﴿مِنَ الْفَالِينَ﴾ أي: المُبْغِضِينَ^(٢)، والقلبي البغض؛ فليته أقلية قلبي وقلاء^(٣). قال:

فَلَسْتُ بِمَقْلَبِي الْخِلَالِ وَلَا قَالِي^(٤)

وقال آخر:

عَلَيْكَ السَّلَامُ لَا مُلِلْتُ قَرِيبَةً وَمَالِكٍ عِنْدِي إِنْ نَأَيْتَ قَلَاءً^(٥)
﴿رَبِّ يَحْيَىٰ وَآهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من عذاب عملهم^(٦). دعا الله لما أيس من إيمانهم ألا يصيبه من عذابهم.

قال تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ولم يكن إلا ابتناه على ما تقدّم في «هود»^(٧). ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ﴾ روى سعيد عن قتادة قال: غبرت في عذاب الله عز وجل. أي: بقيت. وأبو عبيدة يذهب إلى أن المعنى: من الباقيين في الهرم، أي: بقيت حتى هَرِمْتُ^(٨). قال النحاس^(٩): يُقَالُ لِلذَّاهِبِ: غَابِرٌ، والباقي: غَابِرٌ، كما قال:

لَا تَكْسَعِ الشُّوْلُ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَذْرِي مِنَ النَّاتِجِ^(١٠)

(١) معاني القرآن للنحاس ٩٨/٥، وهذه القراءة شاذة.

(٢) الوسيط ٣/٣٦١، وتفسير البغوي ٣/٣٩٦، وزاد المسير ٦/١٤٠.

(٣) الصحاح (قلا).

(٤) قائله امرؤ القيس، وقد سلف ١٢/١٤٣.

(٥) قائله نُصِيبُ بْنُ رِبَاحٍ، وهو في ديوانه ص ٥٧.

(٦) الوسيط ٣/٣٦١، وزاد المسير ٦/١٤٠.

(٧) ١٧٧/١١.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣/١٨٩. وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٨٩.

(٩) في معاني القرآن له ٥/٩٩.

(١٠) قائله الحارث بن حلزة، وقد سلف ١٢/٢٢٥.

وكما قال:

فَمَا وَتَى مُحَمَّدٌ مِّنْهُ أَنْ عُفِرَ لَهُ الْإِلَهُ مَا مَضَىٰ وَمَا غَبَرَ^(١)

أي: ما بقي. والأغبار: بقيات الألبان.

﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ أي: أهلكناهم بالخسف والحصب^(٢)؛ قال مقاتل: خسف الله بقوم لوط، وأرسل الحجارة على من كان خارجاً من القرية.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ يعني الحجارة^(٣) ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾. وقيل: إن جبريل خسف بقريتهم وجعل عاليها سافلها، ثم أتبعها الله بالحجارة.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ لم يكن فيها مؤمن إلا بيت لوط وابنتاه.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧٧) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نُنْقِزُكُمْ (٧٨) إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (٧٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٨٠) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْمَالِيْنَ (٨١) أَتُوقُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (٨٢) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (٨٣) وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٤) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (٨٥) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (٨٦) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِيِّْنَ (٨٧) فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِمَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٨٨) قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨٩) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَّوْمٍ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٩٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ (٩١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِزٌ رَّحِيمٌ (٩٢)

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الأيك: الشجر الملتف الكثير، الواحدة أيكة. ومن قرأ: «أصحاب الأيكة» فهي الغيضة. ومن قرأ: «ليكة» فهو اسم

(١) الرجز للعجاج بن روبة، وقد سلف ٢٧٩/٩.

(٢) الوسيط ٣/٣٦١، وزاد المسير ٦/١٤٠.

(٣) زاد المسير ٦/١٤٠.

القرية . ويُقال : هما مثلُ بَكَّةَ ومَكَّةَ . قاله الجوهري ^(١) . وقال النَّحَّاس ^(٢) : وقرأ أبو جعفر ونافع : «كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ» وكذا قرأ ^(٣) في «ص» ^(٤) . وأجمع القُرَّاء على الخفض في التي في سورة «الحَجَرِ» ^(٥) والتي في سورة «ق» ^(٦) ، فيجب أن يُرَدَّ ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه إذ كان المعنى واحداً . فأما ما حكاه أبو عبيد من أن «لَيْكَةَ» هي اسمُ القرية التي كانوا فيها ، وأن «الأيكة» اسمُ البلد فشيءٌ لا يثبت ولا يُعرف من قاله فيثبت علمه ، ولو عُرفَ مَنْ قاله لكان فيه نظر ؛ لأنَّ أهل العلم جميعاً من أهل التفسير والعلم بكلام العرب على خلافه .

وروى عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن قتادة قال : أُرْسِلَ شعيبٌ عليه السلام إلى أُمَّتَيْنِ : إلى قومه من أهل مَدِينِ ، وإلى أصحاب الأيكة ؛ قال : والأيكة : غَيْضَةٌ من شَجَرٍ مُلْتَفٍّ . وروى سعيد عن قتادة قال : كان أصحابُ الأيكة أهلَ غَيْضَةٍ وشَجَرٍ ، وكانت عامَّةُ شجرهم الدَّومَ ، وهو شَجَرُ الْمُقْلِ . وروى جُوَيْرٍ ^(٧) عن الضَّحَّاك قال : خرج أصحابُ الأيكة - يعني حين أصابهم الحرُّ - فانضَمُّوا إلى الغَيْضَةِ والشَّجَرِ ، فأرسلَ الله عليهم سحابةً فاستَظَلُّوا تحتَها ، فلمَّا تَنَامُوا ^(٨) تحتَها أُحْرِقُوا . ولو لم يكن هذا إلا ما رُوِيَ عن ابن عباس قال : والأيكة : الشَّجَرُ . ولا نعلم بين أهل اللغة اختلافاً أنَّ الأيكة الشَّجَرُ الْمُلْتَفُّ ، فأما احتجاجُ بعضٍ من احتجَّ بقراءة مَنْ قرأ في هذين الموضعين بالفتح أنَّه في الشَّوَادِ ^(٩) «ليكة» فلا حُجَّةَ له ؛ والقول فيه : إنَّ

(١) في الصحاح (أيك).

(٢) في إعراب القرآن ٣/١٨٩-١٩٠ .

(٣) في (د) و(ز) و(م) : قرأ .

(٤) الآية (١٣) ، وهي قراءة ابن كثير وابن عامر أيضاً . السبعة ص ٤٧٣ ، والتيسير ص ١٦٦ ، والنشر ٣٣٦/٢ .

(٥) الآية (٧٨) .

(٦) الآية (١٤) .

(٧) في جميع النسخ : ابن جبير ، والصواب ما أثبت من إعراب القرآن .

(٨) في (د) و(ز) و(م) : تكاملوا . وكلاهما بمعنى .

(٩) في (د) و(ز) و(م) : السواد .

أصله «الأيكة» ثم خُفِّفَتِ الهمزة فألْقِيَتْ حركتها على اللام فسَقَطَتْ، واستغنيت^(١) عن ألفِ الوصل؛ لأنَّ اللامَ قد تحرَّكتْ، فلا يجوز على هذا إلاَّ الخفض، كما تقول: بالأحمر تُحَقِّقُ الهمزة، ثم تُخَفِّفُها: بِلَحْمِرٍ، فإن شئتَ كتبتَ في الحَظِّ على ما كتبتَه أولاً، وإن شئتَ كتبتَه بالحذف، ولم يَجُزْ إلاَّ الخفضُ. قال سيويه^(٢): واعلم أنَّ ما لا ينصرف إذا دخلت عليه الألف واللام أو أضيفَ انصرف. ولا نعلمُ أحداً خالفَ سيويه في هذا.

وقال الخليل^(٣): الأيكة: غَيْضَةٌ تُنْبِتُ السِّدْرَ والأراكَ ونحوهما من ناعم الشجر. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ﴾ ولم يقلْ أخوهم شعيب؛ لأنَّه لم يكن أخاً لأصحابِ الأيكة في النَّسَبِ، فلمَّا ذكرَ مَدِينَ قال: «أخاهُمْ شُعَيْباً»؛ لأنَّه كان منهم^(٤). وقد مضى في «الأعراف»^(٥) القولُ في نسبه. قال ابنُ زيد: أرسلَ اللهُ شُعَيْباً رسولاً إلى قومه أهلِ مدين، وإلى أهلِ البادية وهم أصحابُ الأيكة^(٦). وقاله قتادة، وقد ذكرناه^(٧).

﴿أَلَا نُنْفِئُ﴾ تخافون الله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾. فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الآية. وإنَّما كان جوابُ هؤلاءِ الرُّسُلِ واحداً على صيغةٍ واحدة؛ لأنَّهم مُتَّفِقُونَ على الأمر بالتقوى، والطاعة والإخلاص في العبادة، والامتناع عن أخذ الأجر على تبليغ الرسالة^(٨).

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ الناقصين للكيل والوزن^(٩). ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ

(١) في النسخ: واستغنت. والمثبت من إعراب القرآن.

(٢) في الكتاب ٢٢١/٣.

(٣) في العين ٤٢٣/٥.

(٤) تفسير البغوي ٣/٣٩٧، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/١٤١ عن مقاتل.

(٥) ٢٨١/٩.

(٦) تفسير الطبري ١٧/٦٣٣.

(٧) ٢٨٦/٩.

(٨) تفسير البغوي ٣/٣٩٧، ومجمع البيان ١٩/١٧٩ بنحوه.

(٩) الوسيط ٣/٣٦٢، وزاد المسير ٦/١٤٢.

الْمُسْتَفِيمِ ﴿١﴾ أي: أعطوا الحق. وقد مضى في «سبحان»^(١) وغيرها.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ تقدم في «هود»^(٢) وغيرها.
﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ﴾ قال مجاهد: الجيل: هي الخليفة. وجبل فلان على كذا، أي: خلق؛ فالخلق جيلة وجبل جيلة وجبل جيلة وجبل جيلة. ذكره النحاس في «معاني القرآن»^(٣). «والجيل» عطف على الكاف والميم^(٤). قال الهروي: الجيل: والجبل والجبل والجبل لغات، وهو الجمع ذو العدد الكثير من الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿جِيلًا كَثِيرًا﴾ [يس: ٦٢]. قال النحاس في كتاب «إعراب القرآن» له^(٥): ويقال: جبل جيلة والجمع فيهما جبال، وتُحذف الضمة والكسرة من الباء، وكذلك التشديد من اللام، فيقال: جبل جيل، ويقال: جبل جبال، وتُحذف الهاء من هذا كله.

وقرأ الحسن باختلاف عنه: «والجبل الأولين» بضم الجيم والباء؛ وروى عن شيبه والأعرج^(٦). الباقون بالكسر. قال:

والموت أعظم حادث فيما يمر على الجيل^(٧)

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين يأكلون الطعام والشراب على ما تقدم. ﴿وَأَنَّ نَظْنُكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ أي: ما نظنك إلا من الكاذبين في أنك رسول الله تعالى. ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: جانباً من السماء وقطعة منه، فننظر إليه، كما

(١) ٧٦/١٣.

(٢) ١٩٢/١١.

(٣) ١٠٢/٥.

(٤) إعراب القرآن ٣/٣٩١.

(٥) ٣٩١/٣.

(٦) المحتسب ١٣٢/٢ والشاذة ص ١٠٧ عن الحسن وأبي حصين، والمحزر الوجيز ٢٤٢/٤ عن الحسن وابن محيصن، وزاد المسير ١٤٢/٦ عن الحسن وأبي مجلز وأبي رجاء وابن يعمر وابن أبي عتبة.

(٧) قائله عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهو في ديوانه ص ٧٣.

قال: ﴿وَلَا يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾^(١) [الطور: ٤٤]. وقيل: أرادوا: أنزل علينا العذاب. وهو مبالغة في التكذيب. قال أبو عبيدة: الكِسْفُ: جمع كِسْفَةٍ وهي القطعة مثل سِذِرٍ وسِذْرَةٍ^(٢). وقرأ السُّلَمِيُّ وحفص: «كِسْفًا» جمع كِسْفَةٍ أيضاً: وهي القطعة والجانب، تقديره كِسْرَةٌ وكِسْر. قال الجوهري: الكِسْفَةُ: القطعة من الشيء؛ يُقال: أعطني كِسْفَةً من ثوبك، والجمع كِسْفٌ وكِسْفٌ. ويُقال: الكِسْفُ والكِسْفَةُ واحد. وقال الأخفش: من قرأ «كِسْفًا» جعله واحداً، ومن قرأ: «كِسْفًا» جعله جمعاً. وقد مضى هذا في سورة «سبحان»^(٣). وقال الهروي: ومن قرأ: «كِسْفًا» على التوحيد فجمعه أكساف وكسوف، كأنه قال: أو تُسْقِطُهُ علينا طبقاً واحداً، وهو من كسفت الشيء كِسْفًا إذا غَطَّيْتَهُ^(٤). ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد؛ أي: إنما عليّ التبليغ وليس العذاب الذي سألتهم إليّ، وهو يُجازيكم^(٥). ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمِ﴾ قال ابن عباس: أصابهم حرٌّ شديد، فأرسل الله سبحانه سبحانه فهربوا إليه لِيَسْتَظِلُّوا بها، فلما صاروا تحتها صِيحَ بهم فهلكوا^(٦). وقيل: أقامها الله فوق رؤوسهم، وألهمها حرّاً حتى ماتوا من الومَدِ^(٧). وكان من أعظم يوم في الدنيا عذاباً. وقيل: بعث الله عليهم سَمُومًا، فخرجوا إلى الأيكة يَسْتَظِلُّون بها، فأَصْرَمَهَا الله عليهم ناراً فاحترقوا.

وعن ابن عباس أيضاً وغيره: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَتَحَ عَلَيْهِمْ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ،

(١) تفسير الطبري ١٧/٦٣٦، وأخرج عن ابن عباس ؑ أنه قال: ﴿كِسْفًا﴾: قطعاً. وأخرج أيضاً عن الضحاك أنه قال: جانباً من السماء.

(٢) مجاز القرآن ٩١/٢.

(٣) عند تفسير الآية (٩٢).

(٤) المحرر الوجيز ٣/٤٨٥. وقد سلف أيضاً في سورة الإسراء.

(٥) الوسيط ٣/٣٦٢، وتفسير البغوي ٣/٣٩٧ بنحوه.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٥/١٠٣.

(٧) في النسخ: الرمَد. والوَمَدُ: الحر الشديد مع سكون الريح. تاج العروس (وَمَد).

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ هَذَّةً^(١) وَحَرًّا شَدِيدًا فَأَخَذَ بِأَنْفُسِهِمْ، فَدَخَلُوا بَيْوتَهُمْ، فَلَمْ يَنْفَعِهِمْ ظِلٌّ وَلَا مَاءٌ، فَأَنْضَجَهُمُ الْحَرُّ، فَخَرَجُوا هَرَبًا إِلَى الْبَرِّيَّةِ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَحَابَةً فَأَظْلَمَتْهُمْ، فَوَجَدُوا لَهَا بَرْدًا وَرُوحًا وَرِيحًا طَيِّبَةً، فَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ أَلْهَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ نَارًا، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، فَاحْتَرَقُوا كَمَا يَحْتَرِقُ الْجَرَادُ فِي الْمَقْلَى، فَصَارُوا رَمَادًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ كَأَنَّ لَمْ يَبْتَوُوا فِيهَا﴾ [هود: ٩٤-٩٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَبَسَ عَنْهُمْ الرِّيحَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْحَرَّ حَتَّى أَخَذَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يَنْفَعِهِمْ ظِلٌّ وَلَا مَاءٌ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ الْأَسْرَابَ لِيَتَبَرَّدُوا فِيهَا فَيَجِدُوهَا أَشَدَّ حَرًّا مِنَ الظَّاهِرِ، فَهَرَبُوا إِلَى الْبَرِّيَّةِ، فَأَظْلَمَتْهُمْ سَحَابَةٌ وَهِيَ الظُّلَّةُ، فَوَجَدُوا لَهَا بَرْدًا وَنَسِيمًا، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ نَارًا فَاحْتَرَقُوا. وَقَالَ يَزِيدُ الْجُرَيْرِيُّ: سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْحَرَّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَلِيَالِيَهُنَّ، ثُمَّ رَفَعَ لَهُمْ جَبَلٌ مِنْ بَعِيدٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَإِذَا تَحْتَهُ أَنْهَارٌ وَعَيْونٌ وَشَجَرٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ، فَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ تَحْتَهُ، فَوَقَعَ عَلَيْهِمُ الْجَبَلُ وَهُوَ الظُّلَّةُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: بَعَثَ اللَّهُ شُعْبِيًّا إِلَى أُمْتَيْنِ: أَصْحَابَ مَدْيَنَ وَأَصْحَابَ الْأَيْكَةِ، فَأَهْلَكَ اللَّهُ أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ بِالظُّلَّةِ، وَأَمَّا أَصْحَابُ مَدْيَنَ فَصَاحَ بِهِمْ جَبْرِيلُ صَبِيحَةً فَهَلَكُوا أَجْمَعِينَ^(٢). ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قِيلَ: آمَنَ بِشُعْبِيٍّ مِنَ الْفَتْنَتَيْنِ تِسْعَ مِائَةِ نَفَرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٨﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٧٩﴾ وَلَئِنْ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عاد إلى ما تقدّم بيانه^(٣) في أوّل السّورة من إعراض المشركين عن القرآن. ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ «نَزَلَ» مخففاً قرأ نافع

(١) الهذّة: صوتٌ ما يقع من السماء . تاج العروس (هدد).

(٢) تفسير البغوي ٢ / ١٨٢ .

(٣) كلمة «بيانه» من (م).

وابن كثير وأبو عمرو. الباكون: «نَزَلَ» مشدداً «بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ» نصباً^(١)، وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد؛ لقوله: ﴿وَلَهُمْ لَنْزِيلٌ﴾ وهو مصدر نَزَلَ. والحُجَّةُ لمن قرأ بالتخفيف أن يقول: ليس هذا بمصدر^(٢)؛ لأنَّ المعنى: وإنَّ القرآنَ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العالمين، نَزَلَ به جبريلُ إليك، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قُلُوبِكَ﴾^(٣) [البقرة: ٩٧] أي: يتلوه عليك، فيعيه قلبك. وقيل: ليثبت قلبك^(٤). ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَفٍ مُّبينٍ﴾ أي: لئلا يقولوا: لَسْنَا نفهمُ ما تقول. ﴿وَلَهُمْ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: وإنَّ ذِكْرَ نزوله لَفِي كُتُبِ الأولين، يعني الأنبياء^(٥). وقيل: أي: إنَّ ذِكْرَ محمدٍ عليه الصلاة والسلام في كُتُبِ الأولين، كما قال تعالى: ﴿يَحِيدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] والزُّبُر: الكُتُب، الواحد زُبُور، كرسول ورُسُل^(٦)، وقد تقدَّم.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال مجاهد: يعني عبد الله بن سلام وسلمان وغيرهما ممن أسلم^(٧). وقال ابن عباس: بعث أهل مكة

(١) وقرأ عاصم في رواية حفص عنه «نزل» بالتخفيف و«الروح» بالرفع. السبعة ص ٤٧٣، والحجة للقراء السبعة ٣٦٩/٥.

(٢) في (م): بمقدر.

(٣) إعراب القرآن ١٩١/٣.

(٤) تفسير أبي الليث ٤٨٣/٢.

(٥) تفسير الطبري ٦٤٣/١٧ - ٦٤٤.

(٦) تفسير أبي الليث ٤٨٤/٢.

(٧) أخرجه الطبري ٦٤٤/٧ - ٦٤٥ بنحوه، وهو في تفسير مجاهد ٤٦٦/٢.

إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد عليه الصلاة والسلام، فقالوا: إن هذا كزمانه، وإنّا لنجدُ في التوراة نعتَه وصفته^(١). فيرجع لفظ العلماء إلى كل من كان له علمٌ بكتبهم أسلم أو لم يُسلم على هذا القول. وإنما صارت شهادة أهل الكتاب حجةً على المشركين؛ لأنّهم كانوا يرجعون في أشياء من أمور الدين إلى أهل الكتاب؛ لأنّهم مظنونٌ بهم علمٌ.

وقرأ ابن عامر: «أَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ». الباقون: «أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ»^(٢) بالنصب على الخبر، واسم يكن «أَنْ يَغْلَمَهُ» والتقدير: أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ علماء بني إسرائيل الذين أسلموا آية واضحة؟ وعلى القراءة الأولى اسم كان «آيَةٌ» والخبر «أَنْ يَغْلَمَهُ عُلَمَاءُ إِسْرَائِيلَ»^(٣). وقرأ عاصم الجَحْدَرِيُّ: «أَنْ تَغْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^(٤).

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ أي: على رجلٍ ليس بعربيٍّ اللسان ﴿فَفَرَّاهُ عَلَيْهِمْ﴾ بغير لغة العرب لما آمنوا ولقالوا: لا نفقه، نظيره: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبِيًّا﴾ الآية [فصلت: ٤٤]. وقيل: معناه: ولو نزلناه على رجلٍ ليس من العرب لما آمنوا به أنفةً وكبراً^(٥). يُقال: رجلٌ أعجمٌ وأعجميٌّ إذا كان غير فصيح وإن كان عربياً، ورجلٌ عجميٌّ وإن كان فصيحاً يُنسبُ إلى أصله؛ إلا أنّ الفراء أجاز أن يُقال: رجلٌ عجميٌّ بمعنى أعجميٍّ^(٦).

وقرأ الحسن: «على بعض الأعجميين» مشددةً بياءين جعله نسبةً. ومن قرأ: «الأعجمين» فقليل: إنه جمع أعجم. وفيه بُعد؛ لأنّ ما كان من الصفات الذي مؤنّته فعلاء لا يُجمعُ بالواو والنون، ولا مؤنّته^(٧) بالالف والتاء؛ لا يُقال: أحمرّون ولا

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٨، وزاد المسير ٦/ ١٤٥.

(٢) السبعة ص ٤٧٣، والتيسير ص ١٦٦.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٠١.

(٤) إعراب القرآن ٣/ ١٩٢، والشاذة ص ١٠٧، وزاد المسير ٦/ ١٤٥ وذكر هذه القراءة أيضاً عن الشعبي والضحاك.

(٥) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٩.

(٦) إعراب القرآن ٣/ ١٩٢. وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٨٣.

(٧) كلمة «مؤنّته» من النسخ الخطية، وهي ليست في (م).

حَمَراوات. وقيل: إِنَّ أَصْلَهُ الْأَعْجَمِيِّينَ^(١) - كقراءة الحسن^(٢) - ثُمَّ حُذِفَتْ يَاءُ النَّسَبِ، وَجُعِلَ جَمْعُهُ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ دَلِيلًا عَلَيْهَا. قاله أبو الفتح عثمان بن جني^(٣). وهو مذهب سيوييه^(٤).

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ يعني القرآن، أي: الكفر به ﴿فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّبِينَ﴾. لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ. وقيل: سَلَكْنَا التَّكْذِيبَ فِي قُلُوبِهِمْ، فذلك الذي منعهم من الإيمان. قاله يحيى بن سلام. وقال عكرمة: القسوة^(٥). والمعنى متقارب، وقد مضى في «الحجر»^(٦). وأجاز الفراء الجزم في «لَا يُؤْمِنُونَ»؛ لأنَّ فيه معنى الشرط والمجازاة. وزعم أنَّ من شأن العرب إذا وضعت لا موضع كي لا في مثل هذا ربما جَزَمَتْ ما بعدها وربما رَفَعَتْ؛ فتقول: ربطْتُ الفرسَ لا يَنْفِلْتُ بالرفع والجزم؛ لأنَّ معناه: إنَّ لم أربطه يَنْفِلْتُ، والرفع بمعنى: كيلا يَنْفِلْتُ^(٧). وأنشد لبعض بني عُقِيل:

وحتى رأينا أحسنَ الفِعلِ بيننا مُسَاكِنَةً لا يقرِفُ الشرَّ قارِفُ^(٨)
بالرفع لما حذَفَ كي. ومن الجزم قول الآخر:

لَطَّالَمَا حَلَّائُمَاها^(٩) لا تَرِدُ فخلِّياها والسَّجال^(١٠) تَبْتَرِدُ^(١١)

(١) في (د) و(ز) و(م): الأعجمين. بياء واحدة.

(٢) في النسخ: الجحدري، والصواب: الحسن، كما يقتضيه السياق.

(٣) في المحاسب ١٣٢/٢ دون قوله: (ومن قرأ: «الأعجمين» فقل: إنه جمع أعجم) وقد ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٤٣/٤.

(٤) الكتاب ٦٤٥/٣.

(٥) النكت والعيون ١٨٨/٤.

(٦) ١٨٣/١٢.

(٧) إعراب القرآن ١٩٣/٣.

(٨) في (د) و(ز) و(ظ): «يقرب» و«قارب» بدل «يقرف» و«قارف»، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في معاني القرآن للفراء ٣٨٣/٢، وتفسير الطبري ٥٠٥/١٩.

(٩) حلَّاتُ الإبل عن الماء: إذا حبستها عن الورود. تهذيب اللغة ٢٣٧/٥.

(١٠) جمع سَجَل: وهي الدلو الضخمة المملوءة ماء. اللسان (سجل).

(١١) أي: تشرب الماء لتبرد به كبدها. اللسان (برد).

قال النَّحَّاسُ^(١): وهذا كله في «يُؤْمِنُونَ» خطأ عند البصريين، ولا يجوز الجزم بلا جازم، ولا يكون شيء يعمل عملاً فإذا حُذِفَ عَمِلَ عملاً أقوى من عمله وهو موجود، فهذا احتجاج بين.

﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ . فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ أي العذاب^(٢). وقرأ الحسن: «فَتَأْتِيَهُمْ» بالتاء، والمعنى: فتأتيهم الساعة بغتة، فأضمرت دلالة العذاب الواقع فيها، ولكثرة ما في القرآن من ذكرها^(٣). وقال رجلٌ للحسن وقد قرأ: «فَتَأْتِيَهُمْ»: يا أبا سعيد، إنما يأتيهم العذاب بغتة. فانتهره وقال: إنما هي الساعة تأتيهم بغتة أي: فجأة. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانها. ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ أي: مؤخرون ومُنْهَلون^(٤). يطلبون الرجعة هنالك فلا يجابون إليها. قال القشيري: وقوله: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ﴾ ليس عطفاً على قوله: ﴿حَتَّى يَرَوْا﴾ بل هو جوابٌ وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فلما كان جواباً للنفي انتصب، وكذلك قوله: ﴿فَيَقُولُوا﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَعَدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ﴾ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذَرُونَ﴾ ﴿ذَكَرْنَاهُمْ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَعَدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ قال مقاتل: قال المشركون للنبي ﷺ: يا محمد، إلى متى تَعِدُّنا بالعذاب ولا تأتي به؟ فنزلت: ﴿أَفَعَدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾^(٥).

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ يعني في الدنيا^(٦). والمراد أهل مكة في قول

(١) في إعراب القرآن ١٩٣/٣ .

(٢) الوسيط ٣/٣٦٣ ، وتفسير البغوي ٣/٣٩٩ .

(٣) المحتسب ٢/١٣٣ .

(٤) المحرر الوجيز ٤/٢٤٤ .

(٥) الوسيط ٣/٣٦٣ ، وتفسير البغوي ٣/٣٩٩ ، وزاد المسير ٦/١٤٦ .

(٦) تفسير البغوي ٣/٣٩٩ .

الضَّحَّاكَ وغيره. ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب والهلاك ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ «ما» الأولى استفهامٌ معناه التقرير، وهو في موضع نصب بـ «أغنى»، و«ما» الثانية في موضع رفع، ويجوز أن تكون الثانية نفيًا لا موضع لها^(١). وقيل: «ما» الأولى حرف نفي، و«ما» الثانية في موضع رفع بـ «أغنى»^(٢) والهاء العائدة محذوفة. والتقدير: ما أغنى عنهم الزمان الذي كانوا يُمَتَّعون^(٣). وعن الزُّهري: إن عُمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾. ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ثم يبكي ويقول:

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلةٌ وليك نومٌ والردى لك لازمٌ
فلا أنت في الأيقاظ يقظانٌ حازمٌ ولا أنت في النُّومِ ناجٍ فسالمٌ
تُسَرُّ بما يَفْنَى وتفرحُ بالمنى كما سُرَّ باللذاتِ في النومِ حالمٌ
وتسعى إلى ما سوف تكره غِبَّةٌ كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ^(٤)

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ «من» صلة، المعنى: وَمَا أَهْلَكْنَا قَرْيَةً^(٥). ﴿إِلَّا لَمَّا مُنذِرُون﴾ أي: رسل^(٦). ﴿وَذِكْرَى﴾ قال الكسائي: «ذِكْرَى» في موضع نصبٍ على الحال^(٧). النَّحَّاس: وهذا لا يُحْصَل، والقول فيه قول الفراء وأبي إسحاق أنها في موضع نصبٍ على المصدر؛ قال الفراء: أي: يَذْكُرُون ذِكْرَى؛ وهذا قولٌ صحيح؛ لأنَّ معنى ﴿إِلَّا لَمَّا مُنذِرُون﴾: إِلَّا لَهَا مُذْكَرُونَ. «وَذِكْرَى» لا يتبيَّن فيه الإعراب؛ لأنَّ

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٩٣.

(٢) البيان لابن الأنباري ٢/ ٢١٧.

(٣) الوسيط ٣/ ٣٦٣، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٩.

(٤) أخرج هذه الآيات أبو نعيم في الحلية ٥/ ٣١٩ - ٣٢٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٤٣.

(٥) مجمع البيان ١٩/ ١٨٥.

(٦) تفسير أبي الليث ٢/ ٤٨٤، وتفسير البغوي ٣/ ٣٩٩.

(٧) وقع في مطبوع إعراب القرآن ٣/ ١٩٣: في موضع نصبٍ على القطع، والصواب ما أثبتناه كما في

مشكل إعراب القرآن ١/ ٥٣٠، والمحرم الوجيز ٤/ ٢٤٤.

فيها ألفاً مقصورة. ويجوز «ذُكِّرَى» بالتنوين، ويجوز أن يكون «ذُكِّرَى» في موضع رفعٍ على إضمار مبتدأ. قال أبو إسحاق: أي: إنذارنا ذُكِّرَى. وقال الفراء: أي: ذُكِّرَى، وتِلْكَ ذُكِّرَى^(١). وقال ابن الأنباري^(٢): قال بعض المفسرين: ليس في «الشعراء» وقف تامٌّ إلَّا قوله: ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ وهذا عندنا وقفٌ حسن، ثم تبتدئ «ذُكِّرَى» على معنى: هي ذُكِّرَى، أو^(٣): يُذَكِّرهم ذُكِّرَى، والوقف على «ذُكِّرَى» أجود. ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في تعذيبهم حيث قَدَّمنا الحُجَّةَ عليهم وأَعَدَّنا إليهم^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٠٣﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُوُونَ ﴿١٠٤﴾ فَلَا تَنْفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ يعني القرآن، بل ينزل به الروح الأمين. ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُوُونَ أي: برمي الشُّهْبِ كما مضى في سورة «الحجر» بيانه^(٥). وقرأ الحسن ومحمد بن السَّمِيفَع: «وما نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ»^(٦) قال المهدوي: وهو غيرُ جائزٍ في العربية ومخالفٌ للخط. وقال النَّحَّاس^(٧): وهذا غلطٌ عند جميع النُّحَوِيِّين، وسمعتُ علي بن سليمان يقول: سمعتُ محمد بن يزيد يقول: هذا غلطٌ عند العلماء، إنما يكون بدخول شبهة؛ لَمَّا رَأَى الحَسَنُ في آخره ياءً ونوناً وهو في موضعٍ رفعٍ اشتبه عليه بالجمع المُسَلَّمِ فَعَلِطَ، وفي

(١) إعراب القرآن ٣/ ١٩٣ - ١٩٤. وكلام الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٢٨٤، وكلام الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨١٤.

(٣) في (د) و(م): أي.

(٤) تفسير البغوي ٣/ ٣٩٩.

(٥) ١٨٧/ ١٢ - ١٩٠.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٥، وهي في إعراب القرآن ٣/ ١٩٤، والمحتسب ٢/ ١٣٣ عن الحسن، وفي الشاذة ص ١٠٨ عن الحسن والأعمش.

(٧) في إعراب القرآن ٣/ ١٩٤.

الحديث: «احذروا زلَّةَ العالم»^(١) وقد قرأ هو مع الناس: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤]، ولو كان هذا بالواو في موضع رفع لَوَجِبَ حذفُ التَّوْنِ للإضافة.

وقال الثعلبي: قال الفراء: غَلِطَ الشيخُ - يعني الحسن - فقليل ذلك للنَّضْرِ بن شُمَيْل، فقال: إنَّ جازَ أن يُحْتَجَّ بقولِ رؤية والعجاج وذويهما، جاز أن يُحْتَجَّ بقول الحسن وصاحبه، مع أنَّنا نَعْلَمُ أنَّهما لم يقرأَا بذلك إلا وقد سَمِعَا في ذلك شيئاً^(٢). وقال المؤرِّج: إنَّ كان الشيطانُ من شاطِئٍ يشيْطُ كان لقراءتِهما وجه. وقال يونس بن حبيب: سمعتُ أعرابياً يقول: دَخَلْنَا بَسَاتِينَ من ورائها بَسَاتون، فقلتُ: ما أشبه هذا بقراءة الحسن^(٣)!

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَنْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ قيل: المعنى: قُلْ لِمَنْ كفر هذا. وقيل: هو مخاطبةٌ له عليه الصلاة والسلام وإن كان لا يفعل هذا؛ لأنَّه معصومٌ مختارٌ، ولكنَّه حُوطِبَ بهذا والمقصودُ غيره. ودلَّ على هذا قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أي: لثَلَا^(٤) يَتَكَلَّمُوا^(٥) على نَسَبِهِمْ فَيَدْعُوا^(٦) ما يَجِبُ عليهم^(٧).

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢٠٨١/٦، والبيهقي ٢١١/١٠ من حديث عمرو بن عوف ؓ، بلفظ: «اتقوا زلَّةَ العالم»، وفي إسناده كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، وهو متروك، واتهمه الشافعي وأبو داود بالكذب. ميزان الاعتدال ١٠٦/٣ - ٤٠٧.

وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢٠٢) من طريق الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن معاذ مرفوعاً بلفظ: «إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاث: جدال منافق، وزلة عالم، ودينار تقطع أعناقكم». ثم قال: قال الدارقطني: وقد وقفه شعبة عن عمرو بن مرة، والموقوف هو الصحيح.

(٢) وذكره الزمخشري في الكشاف ١٣١/٣.

(٣) قول يونس بن حبيب أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٤٥/٤.

(٤) في النسخ: لا، والمثبت من إعراب القرآن.

(٥) في (م): يتكلمون.

(٦) في (م): فيدعون.

(٧) إعراب القرآن ١٩٥/٣.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ مِنْ تَحْتِ النُّجُومِ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي الْمَجَالِيدِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فيه مسألان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ خَصَّ عشيرته الأقربين بالإنذار؛ لَتَنَحَسِمَ أَطْمَاعُ سَائِرِ عَشِيرَتِهِ وَأَطْمَاعُ الْأَجَانِبِ فِي مُفَارَقَتِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى الشَّرْكِ^(١). وعشيرته الأقربون قريش. وقيل: بنو عبد مناف. ووقع في «صحيح مسلم»: «وأنذر عشيرتك الأقربين، وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ»^(٢). وظاهر هذا أنه كان قرآناً يُتلى وأنه نُسِخَ؛ إذ لم يثبت نقله في المصحف ولا تواتر، ويلزم على ثبوته إشكالاً، وهو أنه كان يلزم عليه ألا يُنذِرَ إِلَّا مَنْ آمَنَ مِنْ عَشِيرَتِهِ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الَّذِينَ يُوصَفُونَ بِالْإِخْلَاصِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَفِي حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ لَا الْمَشْرُكُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ دَعَا عَشِيرَتَهُ كُلَّهُمْ مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ، وَأَنْذَرَ جَمِيعَهُمْ وَمَنْ مَعَهُمْ وَمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ ﷺ، فَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ نَقْلًا وَلَا مَعْنَى^(٣). وروى مسلمٌ من حديث أبي هريرة قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرِيشًا، فَاجْتَمَعُوا، فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَجِمًا سَابِلُهَا بَيْلَاهَا»^(٤).

(١) مجمع البيان ١٨٧/١٩ بنحوه.

(٢) صحيح مسلم (٢٠٨) من حديث عبد الله بن عباس ؓ. وأخرجه البخاري أيضاً (٤٩٧٢).

(٣) المفهم ٣٨٥/٧.

(٤) صحيح مسلم (٢٠٤). وأخرجه أحمد (٨٧٢٦). قال السندي في حاشيته على المسند: قوله: «بَيْلَاهَا» =

الثانية: في هذا الحديث والآية دليل على أَنَّ القُرْبَ في الأنساب لا ينفع مع البُعد في الأسباب، ودليل على جواز صلة المؤمن الكافر وإرشاده ونصيحته؛ لقوله: «إِنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأُبْلَاهُ بِلَالِهَا»^(١)، وقوله عز وجل: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الآية [المتحنة: ٨]، على ما يأتي بيانه هناك إن شاء الله^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِّ ابْتِغَاكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تقدم في سورة «الحجر»^(٣) و«سبحان»^(٤) يقال: خفض جناحه إذا لان. ﴿فَإِنَّ عَصْرَكَ﴾ أي: خالفوا أمرَكَ. ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: بريء من معصيتكم إياي؛ لأن عصيانهم إياه عصيان لله عز وجل؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لا يأمر إلا بما يرضاه، ومن تبرأ منه فقد تبرأ الله منه^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أي: فَوَضْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ، فإنه العزيز الذي لا يُغَالَبُ، الرَّحِيمُ الذي لا يخذل أولياءه^(٦).

وقرأ العامة: «وتوكل» بالواو، وكذلك هو في مصاحفهم. وقرأ نافع وابن عامر: «فتوكل» بالفاء، وكذلك هو في مصاحف المدينة والشام^(٧). ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: حين تقوم إلى الصلاة في قول أكثر المفسرين: ابن عباس وغيره. وقال مجاهد:

= قيل: بكسر الباء، جمع بَلَل: وهو كل ما بَلَّ الحلق من ماء أو لبن أو غيره. ويروى بفتحها على المصدر، أي: أصيلكم في الدنيا. قيل: شبه القطيعة بالحرارة تُطْفَأُ بالماء.

(١) المفهم ٣٨٤/٧.

(٢) قوله: «إن شاء الله» من (م).

(٣) ٢٥٥-٢٥٤/١٢.

(٤) ٥٩/١٣ - ٦٠.

(٥) إعراب القرآن ١٩٥/٣.

(٦) مجمع البيان ١٨٩/١٩.

(٧) السبعة ص ٤٧٣، والتيسير ص ١٦٧.

يعني: حِينَ تَقُومُ حَيْثُمَا كُنْتَ^(١).

﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ قال مجاهد وقتادة: فِي الْمُصَلِّينَ^(٢). وقال ابن عباس: أي فِي أَصْلَابِ الْآبَاءِ، آدَمَ وَنُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ حَتَّى أَخْرَجَهُ نَبِيًّا^(٣). وقال عكرمة: يَرَاكَ قَائِمًا وَرَاكِعًا وَسَاجِدًا. وقاله ابنُ عباسٍ أيضًا^(٤). وقيل: المعنى: إِنَّكَ تَرَى بِقَلْبِكَ فِي صَلَاتِكَ مَنْ خَلَقَكَ كَمَا تَرَى بِعَيْنِكَ مَنْ قُدَّامَكَ. وَرُويَ عَنْ مُجَاهِدٍ؛ ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ^(٥) وَالثَّعلَبِيُّ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَرَى مَنْ خَلَقَهُ كَمَا يَرَى مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَذَلِكَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ^(٦)، وَفِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ بَعِيدٌ. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تَقَدَّمَ.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٦٦﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٦٧﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٣٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ إِنَّمَا قَالَ: «تَنَزَّلُ» لَأَنَّهَا أَكْثَرُ مَا تَكُونُ فِي الْهَوَاءِ، وَأَنَّهَا تَمُرُّ فِي الرِّيحِ^(٧).

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ تَقَدَّمَ فِي «الْحَجَرِ»^(٨). فـ «يُلْقُونَ السَّمْعَ» صِفَةُ الشَّيَاطِينِ «وَأَكْثُرُهُمْ» يَرْجِعُ إِلَى الْكُهْنَةِ^(٩). وَقِيلَ: إِلَى الشَّيَاطِينِ^(١٠).

(١) الوسيط ٣/ ٣٦٥. وأخرج الطبري ٦٦٦/١٧ قول مجاهد.

(٢) معاني القرآن للنحاس ١٠٧/٥، وأخرجه الطبري ٦٦٧/١٧-٦٦٨ عن مجاهد.

(٣) معاني القرآن للنحاس ١٠٧/٥.

(٤) أخرجه عنهما الطبري ٦٦٦/١٧-٦٦٧.

(٥) فِي النِّكَتِ وَالْعِيُونِ ٤/ ١٨٩، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ ٦٦٧/١٧.

(٦) صحيح البخاري (٧١٨)، وصحيح مسلم (٤٣٤) من حديث أنس بن مالك ؓ. وأخرجه أحمد (١٢٠١١).

(٧) إعراب القرآن ٣/ ١٩٥.

(٨) ١٨٨-١٨٧/١٢.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٤.

(١٠) إعراب القرآن ٣/ ١٩٥.

قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوْنُ ۖ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسِعَعُوا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْفِلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾
قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوْنُ﴾ فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ جمع شاعر، مثل جاهل وجُهلاء. قال ابن عباس: هم الكفار يَتَّبِعُهُمْ ضَلَالُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ^(١). وقيل ﴿الْفَاوْنُ﴾: الزائلون عن الحق، ودَلَّ بهذا أَنَّ الشعراء أيضاً غاؤون؛ لأنَّهم لو لم يكونوا غاوين ما كان أتباعهم كذلك^(٢). وقد قَدَّمْنَا في سورة «النور»^(٣) أَنَّ من الشُّعْر ما يجوزُ إنشاده، ويُكره، ويَحْرُم. روى مسلمٌ من حديث عمرو بن الشَّريد عن أبيه قال: رَدَفْتُ رسولَ الله ﷺ يوماً^(٤) فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصَّلتِ شيء؟» قلتُ: نعم. قال: «هيه» فأنشدته بيتاً. فقال: «هيه» ثم أنشدته بيتاً، فقال: «هيه» حتى أنشدته مئة بيت^(٥). هكذا صوابُ هذا السندِ وصحيحُ روايته. وقد وقع لبعضِ رُواةِ كتابِ مُسلم: عن عمرو بن الشَّريد عن الشَّريد أبيه، وهو وَهْمٌ؛ لأنَّ الشَّريدَ هو الذي أَرَدَفَهُ رسولُ الله ﷺ، واسمُ أبي الشَّريد سُويد. وفي هذا دليلٌ على حفظِ الأشعارِ والاعتناءِ بها إذا تَضَمَّنَتِ الحِكَمَ والمعاني المُستَحسنةَ شرعاً وطبعاً، وإنَّما استكثرَ النبيُّ ﷺ من شعرِ أمية؛ لأنَّه كان حكيماً؛ ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام: «وكاد أمية بنُ أبي الصَّلتِ أن يُسَلِّمَ»^(٦)

(١) النسخ والمسنوخ للنحاس ٥٧٣/٢، وأخرجه الطبري ٦٧٥/١٧.

(٢) إعراب القرآن ١٩٦/٣.

(٣) ٢٧٩/١٥ - ٢٨٠.

(٤) كلمة «يوماً» من صحيح مسلم.

(٥) صحيح مسلم (٢٢٥٥). وأخرجه أحمد (١٩٤٧٦).

(٦) أخرجه البخاري (٦١٤٧)، ومسلم (٢٢٥٦) (٣) من حديث أبي هريرة ؓ.

ومن قوله: هكذا صواب هذا السند... إلى هذا الموضع من المفهم ٥٢٦/٥ - ٥٢٧. وقال مؤلفه: قوله: «هيه» بكسر الهاء الأولى، وسكون الثانية للوقف. وهي «إيه» التي للاستزادة، وأبدل من الهمزة هاء، =

فأما ما تَضَمَّنَ ذِكْرَ اللَّهِ وحمده والثناء عليه فذلك مندوبٌ إليه، كقول القائل:
 الحمدُ لله العليِّ المنانِ صارَ الشريدُ في رؤوس العيدانِ
 أو ذَكَرَ رسولَ الله ﷺ أو مَدَحَهُ كقول العباس:

مِنْ قَبْلِهَا طُبِتَ فِي الظُّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخَصَّفُ الْوَرَقُ
 ثُمَّ هَبَطَتِ الْبِلَادَ لَا بَشَرُ أَنْتَ وَلَا مُضْنَةُ وَلَا عَلَقُ
 بَلْ نَطْفَةُ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ
 تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَجِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ
 فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَفُضُّضُ اللَّهُ فَاكَ»^(١).

أو الذَّبَّ عَنْهُ، كقول حسان:
 هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
 وَهِيَ آيَاتٌ ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»^(٢) وَهِيَ فِي السِّيرِ أَتَمُّ.

أو الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، كَمَا رَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: خَرَجَ عُمَرُ لَيْلَةً يَحْرُسُ، فَرَأَى مُصْبَحاً
 فِي بَيْتٍ، وَإِذَا عَجُوزٌ تَنْفُسُ صَوْفاً وَتَقُولُ:
 عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَاةُ الْأَبْرَارِ صَلَّى عَلَيْهِ الطَّيِّبُونَ الْأَخْيَارُ
 قَدْ كُنْتَ قَوَّاماً بُكَاءَ بِالْأَسْحَارِ يَا لَيْتَ شِغْرِي وَالْمَنَايَا أَطْوَارُ
 هَلْ يَجْمَعُنِي وَحْبِيبِي الدَّارُ
 يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ؛ فَجَلَسَ عُمَرُ يَبْكِي^(٣).

= وَهِيَ اسْمٌ لِفِعْلِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ: زَدَ. وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكَسْرِ؛ لَوْقُوعِهَا مَوْقِعَ الْمَبْنِيِّ الَّذِي هُوَ الْأَمْرُ.
 وَفِي الصَّحَاحِ: إِذَا قُلْتَ: إِيوُ يَا رَجُلَ، فَلِنَامَا تَأْمَرُهُ بِأَنْ يَزِيدَكَ مِنْ حَدِيثِهِ الْمَعْهُودِ. وَإِنْ قُلْتَ: إِيوُ
 بِالتَّنْوِينِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: هَاتِ حَدِيثًا؛ لِأَنَّ التَّنْوِينَ تَنْكِيرٌ.

(١) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ ٣/ ١٤٢٧ - ١٤٢٨. وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٤١٦٧)، وَالْحَاكِمُ
 ٣/ ٣٢٨ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ تَفَرَّدَ بِهِ رَوَاتُهُ الْأَعْرَابُ عَنْ آبَائِهِمْ، وَأَمْثَالُهُمْ مِنَ الرِّوَاةِ لَا يَضَعُونَ.

(٢) بَرَقَم (٢٤٩٠) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ (١٠٢٤).

وكذلك ذُكِرَ أصحابه ومَدَحَهم ﷺ؛ ولقد أحسن محمد بن سابق حيث قال:

إني رَضِيتُ علياً للهِدَى عِلْماً كما رَضِيتُ عَتِيقاً صَاحِبَ الْغَارِ
وقد رَضِيتُ أبا حَفْصٍ وَشِيعَتَهُ وما رَضِيتُ بِقَتْلِ الشَّيْخِ فِي الدَّارِ
كُلَّ الصَّحَابَةِ عِنْدِي قُدُوءٌ عِلْمٌ فهل عَلَيَّ بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْ عَارٍ
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَحِبُّهُمْ إِلَّا مِنْ أَجْلِكَ فَاعْتَقِنِي مِنَ النَّارِ^(١)
وقال آخرُ فَأَحْسَنَ:

حُبُّ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ مُفْتَرَضٌ وَحُبُّ أَصْحَابِهِ نَوْرٌ بِبُرْهَانٍ
مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُ لَا يَرْمِيَنَّ أَبَا بَكْرٍ بِبُهْتَانٍ
وَلَا أَبَا حَفْصٍ الْفَارُوقَ صَاحِبَهُ وَلَا الْخَلِيفَةَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ
أَمَّا عَلَيٌّ فَمَشْهُورٌ فَضَائِلُهُ وَالْبَيْتُ لَا يَسْتَوِي إِلَّا بِأَرْكَانٍ
قال ابن العربي^(٢): أَمَّا الاستعاراتُ في التشبيهاتِ فمأذونٌ فيها وإن استغرقتِ
الحدَّ وتجاوزتِ المُعتادَ؛ فبِذَلِكَ يَضْرِبُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِالرُّؤْيَا الْمَثَلَ، وَقَدْ أَنْشَدَ
كعب بن زهير النَّبِيَّ ﷺ:

بَانَتْ سَعَادُ فِقْلَبِي الْيَوْمَ مَثْبُورٌ مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُورٌ
وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَغْنَى غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولٌ
تَجَلَّوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَغْلُولٌ
فجاء في هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع، والنبي ﷺ يسمع
ولا يُنْكِرُ في تشبيهه ريقها بالراح.

وأنشد أبو بكر ﷺ:

فَقَدْ نَا الْوَحْيَ إِذْ وَلَّيْتَ عَنَّا وَودَّعْنَا مِنَ اللَّهِ الْكَلَامَ

(١) الآيات دون البيت الثالث في تاريخ ابن عساكر ٥٣٣/٤٢.

(٢) في أحكام القرآن ٣/١٤٣٤.

سوى ما قد تركت لنا رهيناً توارثه القراطيس الكرام
فقد أورثتنا ميراث صدق عليك به التّحية والسّلام
فإذا كان رسولُ الله ﷺ يسمّعه وأبو بكر يُنشدّه، فهل للتقليد والافتداء موضعُ أرفعُ
من هذا؟! قال أبو عمر: ولا يُنكرُ الحسنُ من الشعرِ أحدٌ من أهل العلم ولا من أولي
النّهى، وليس أحدٌ من كبار الصّحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلّا وقد قال الشعر،
أو تمثّل به، أو سمّعه فرضيّه، ما كان حكمةً أو مباحاً، ولم يكن فيه فحشٌ ولا خنا
ولا لمسلم أذى، فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يعجلُ سماعه ولا
قوله. وروى أبو هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ على المنبر يقول: «أصدقُ كلمةٍ -
أو أشعرُ كلمةٍ - قالتها العربُ قولُ لبيد:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ

أخرجه مسلم، وزاد: «وكاد أُميّة بنُ أبي الصّلتِ أن يُسلمَ»^(١). وروى عن ابن
سيرين أنه أنشد شعراً فقال له بعضُ جلسائه: مثلك يُنشدُ الشعرَ يا أبا بكر؟! فقال:
ويلك يا لُكع، وهل الشعرُ إلّا كلامٌ لا يُخالفُ سائرَ الكلامِ إلّا في القوافي، فحسنه
حسنٌ وقيّحه قبيحٌ؟! قال: وقد كانوا يتذكرون الشعر. قال: وسمعتُ ابنَ عُمرَ يُنشدُ:
يُحبُّ الخمرَ من مالِ النّدامى ويكره أن يُفارقَه الغلّوسُ^(٢)

وكان عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود - أحدُ فقهاء المدينة العشرة ثم
المشيخة السبعة - شاعراً مجيداً مُقدّماً فيه^(٣). وللزُّبير بن بكار القاضي في أشعاره
كتاب، وكانت له زوجةٌ حسنةٌ تُسمّى عثمة، فعتبَ عليها في بعض الأمر فطلقها، وله
فيها أشعارٌ كثيرة، منها قوله:

(١) صحيح مسلم (٢٢٥٦) (٣). وأخرجه أيضاً البخاري (٦١٤٧) بتلك الزيادة، وقد سلفت قريباً.

(٢) التمهيد ٢٢/١٩٤-١٩٥. والغلّوس تصغير الغلّس: وهو ظلمة آخر الليل. الصحاح (غلس). وأثر ابن
سيرين أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٧١).

(٣) التمهيد ٧/٩.

تَغْلَغَلْ حُبَّ عَثْمَةٍ فِي فُؤَادِي فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ
تَغْلَغَلْ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ
أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ^(١)
وقال ابن شهاب: قلتُ له: تقول الشُّعْرَ في نُسُكِكَ وَفَضْلِكَ؟! فقال: إِنَّ
المصدورَ إِذَا نَفَثَ بَرًّا.

الثانية: وَأَمَّا الشُّعْرُ المذمومُ الذي لَا يَحِلُّ سَمَاعُهُ وَصَاحِبُهُ مَلُومٌ، فَهُوَ الْمُتَكَلِّمُ
بِالْبَاطِلِ حَتَّى يُفْضَلُوا أَجِبْنَ النَّاسَ عَلَى عَنَتِهِ، وَأَشَحَّهَمَ عَلَى حَاتِمٍ، وَأَنْ يَبْهَتُوا
الْبَرِيءَ وَيُفْسِقُوا التَّقِيَّ، وَأَنْ يُفَرِّطُوا فِي الْقَوْلِ بِمَا لَمْ يَفْعَلْهُ الْمَرْءُ؛ رَغْبَةً فِي تَسْلِيَةِ
النَّفْسِ وَتَحْسِينِ الْقَوْلِ^(٢)، كَمَا رَوَى عَنْ الْفَرَزْدَقِ أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ سَمِعَ
قَوْلَهُ:

فَبِئْسَ بَجَانِبِي مُصَرَّعَاتٍ وَبِئْسَ أَفْضُ أَغْلَاقِ الْخَتَامِ
فَقَالَ: قَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ الْحَدُّ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ دَرَأَ اللَّهُ عَنِي الْحَدَّ
بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾^(٣). وَرَوَى أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ عَدِيٍّ بْنَ نَضْلَةَ كَانَ
عَامِلًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؓ فَقَالَ:

مَنْ مُبْلِغُ الْحَسَنَاءِ أَنْ حَلِيلَهَا بِمَيْسَانَ^(٤) يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَنْتَمِ
إِذَا شَتَّتْ غَنْثَنِي دَهَاقِينَ^(٥) قَرِيَةً وَرَقَاصَةً تَجْذُو^(٦) عَلَى كُلِّ مَنْثَمٍ^(٧)

(١) الآيات سلفت ٢/٢٥٦.

(٢) من قوله: أَنْ يَفَرِّطُوا... إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ ٣/١٤٢٩.

(٣) الْأَغَانِي ٢١/٣٧٣.

(٤) اسْمُ كَوْرَةٍ وَاسِعَةٍ كَثِيرَةُ الْقُرَى وَالنَّخْلِ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَوَسَاطِئِهَا. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٥/٢٤٢.

(٥) كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْرَبَةٌ، جَمْعُ دَهْقَانٍ: وَهُوَ التَّاجِرُ. اللَّسَانُ (دَهْقَن).

(٦) مِنَ الْجَذْوِ: وَهُوَ الْقِيَامُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَصَابِعِ. اللَّسَانُ (جَذَا).

(٧) أَيُّ: وَمُفْصَلُ. اللَّسَانُ (نَسَم).

فإن كنتَ نذماني فبالأكبرِ اسقني ولا تسقني بالأصغرِ المُتثلِمِ^(١)
لعلَّ أميرَ المؤمنينِ يسوءه ننادُمنَا بالجوسقِ^(٢) المُتهدِّمِ
فبلغَ ذلكَ عُمرَ، فأرسلَ إليه بالقدوم عليه. وقال: إي والله إنني لیسوءني ذلك.
فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما فعلتُ شيئاً مما قلتُ، وإنما كانتَ فضلةٌ من القول، وقد
قال الله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوُونَ أَلْزَرْنَا أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ فقال له عمر: أما عُذْرُكَ فقد درأَ عنكَ الحَدَّ، ولكن لا تعملَ لي عملاً
أبدأَ وقد قلتَ ما قلتَ^(٣). وذكر الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ قال: حدَّثني مصعب بن عثمان أنَ عُمرَ
ابنَ عبد العزيز لَمَّا وَلِيَ الخِلافةَ لم يكن له هَمٌّ إلا عمر بن أبي ربيعة والأحوص،
فكتبَ إلى عامله على المدينة: إنِّي قد عرفتُ عُمرَ والأحوصَ بالشَّرِّ والخُبِيثِ، فإذا
أتاك كتابي هذا فاشدُدْ عليهما واحمِلْهما إليَّ. فلَمَّا أتاه الكتابُ حملَهما إليه، فأقبل
على عمر فقال: هيه!

فلم أرَ كالتَّجميرِ منظرَ ناظرٍ ولا كَلِيالي الحَجِّ أَفْلَسَنَ ذَا هَوَى
وكم مالى عينيهِ من شيءٍ غيرِه إذا راحَ نحوَ الجمرَةِ البيضِ كالذُّمَى
أما والله لو اهتممتَ بحجِّكَ لم تنظرَ إلى شيءٍ غيرِكَ، فإذا لم يفلتِ الناسُ منك
في هذه الأيامِ فمتى يفلتون؟! ثم أمرَ بِنَفْيِهِ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أو خَيْرٌ من
ذلك؟ فقال: ما هو؟ قال: أعاهدُ اللهَ أنِّي لا أعودُ إلى مثلِ هذا الشَّعرِ، ولا أذكرُ
النِّساءَ في شعرٍ أبدأَ، وأجددُ توبَةً، فقال: أو تفعلُ؟ قال: نعم. فاعاهدُ اللهَ على توبتِهِ
وخلَّاه، ثم دعا بالأحوصَ، فقال: هيه!
اللهُ بيني وبينَ قِيَمِها يَفِرُّ مِنِّي بها وأَتْبِعُ
بَلِ اللهُ بينَ قِيَمِها وبينَكَ. ثم أمرَ بِنَفْيِهِ، فكلَّمه فيه رجالٌ من الأنصارِ فأبى، وقال:

(١) من ثَلَمَ الإِناءَ إذا كَثُرَ حَرْفُهُ. اللسان (ثلم).

(٢) وهو القصر. معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص ٤٨.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٤٢٩-١٤٣٠.

والله لا أَرُدُّه ما كان لي سلطان، فإنه فاسقٌ مُجَاهِرٌ^(١). فهذا حُكْمُ الشَّعْرِ الْمَذْمُومِ وَحُكْمُ صَاحِبِهِ، فلا يَجِلُّ سَمَاعُهُ ولا إِنْشَاؤُهُ في مَسْجِدٍ ولا غَيْرِهِ، كَمِنْثُورِ الْكَلَامِ الْقَبِيحِ وَنَحْوِهِ. وروى إسماعيل بن عِيَّاش، عن عبد الله بن عون، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «حَسَنُ الشَّعْرِ كَحَسَنِ الْكَلَامِ، وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ^(٢)» رواه إسماعيل عن عبد الله الشَّامِي، وحديثه عن أهل الشَّامِ صَحِيحٌ فيما قال يحيى بن مَعِينٍ وَغَيْرُهُ^(٣). وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «الشَّعْرُ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ، حَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ، وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ^(٤)».

الثالثة: روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيهِ^(٥) خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا^(٦)»، وفي الصحيح أيضاً عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ قال: بينا نحنُ نسيرُ مع رسول الله ﷺ إذ^(٧) عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ، فقال رسول الله ﷺ: «خُذُوا الشَّيْطَانَ - أَوْ: أُمْسِكُوا الشَّيْطَانَ - لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا^(٨)». قال علماؤنا: وإنما فعل النبي ﷺ هذا مع هذا الشاعر لما عَلِمَ من حاله، فلعلَّ هذا الشاعرَ كان مِمَّنْ قد عُرِفَ من حاله أَنَّهُ قَدْ اتَّخَذَ الشَّعْرَ طَرِيقًا لِلتَّكْسِبِ، فُيَقْرَطُ في المَدْحِ إذا أُعْطِيَ، وفي الهَجْوِ وَالذَّمِّ إذا مُنِعَ، فيؤذي

(١) الأغاني ٩/ ٦٤-٦٥.

(٢) أخرجه الدارقطني (٤٣٠٩). وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه أبو يعلى (٤٧٦٠)، والدارقطني (٤٣٠٦) و(٤٣٠٧).

(٣) تهذيب التهذيب ١/ ١٦٣.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٦٥)، والطبراني في الأوسط (٧٦٩٢)، والدارقطني (٤٣٠٨).

(٥) قبلها في (د) و(م): حتى.

(٦) صحيح مسلم (٢٢٥٧). وأخرجه أحمد (٧٨٧٤)، والبخاري (٦١٥٥).

(٧) في (م): إذا.

(٨) صحيح مسلم (٢٢٥٩). وأخرجه أحمد (١١٠٥٧).

الناس في أموالهم وأعراضهم، ولا خلاف في أن مَنْ كان على مثل هذه الحالة فكلُّ ما يكتسبه بالشَّعرِ حرام، وكلُّ ما يقوله من ذلك حرامٌ عليه، ولا يحلُّ الإصغاء إليه، بل يجب الإنكارُ عليه، فإن لم يمكن ذلك لمن خاف من لسانه قطعاً تعيَّن عليه أن يُدَّارِيه بما استطاع، ويُدافِعَه بما أمكن، ولا يحلُّ أن^(١) يُعطى شيئاً ابتداءً؛ لأنَّ ذلك عونٌ على المعصية، فإن لم يجد من ذلك بُدأً أعطاه بنية وقاية العرض، فما وقى به المرءُ عرضه كُتِبَ له به صدقة. وقوله^(٢): «لأنَّ يمتلئ جوفٌ أحدكم قيحاً يريه^(٣)» القيح: المدة يُخالطها دم. يُقال منه: قاح الجرحُ يقيحُ وتقيحُ وقيحٌ. و«يريه» قال الأصمعي: هو من الوزِي على مثال الرَّمِي، وهو أن يدوى جوفه، يُقال منه: رجلٌ مَورِيٌّ، مُشدَّدٌ غيرُ مهموز. وفي الصَّحاح: وري القيحُ جوفه يريه ورِيّاً إذا أكله^(٤). وأنشد اليزيديُّ:

قالت له ورِيّاً إذا تَنَحَّنَحَا^(٥)

وهذا الحديث أحسنُّ ما قيل في تأويله: إنَّه الذي قد غلبَ عليه الشَّعرُ، وامتلاً صدره منه دونَ عِلْمٍ سواه ولا شيءٍ من الذِّكرِ ممَّن يخوضُ به في الباطل، ويسلكُ به مسالك لا تُحمدُ له، كالمُكثِرِ من اللَّعْطِ والهَذَرِ والغِيبَةِ وقَبِيحِ القول^(٦). ومَنْ كان الغالبُ عليه الشَّعرُ لَزِمَتْهُ هذه الأوصافُ المذمومةُ الدُّنيَّةُ، لحكم العادة الأدبيَّة. وهذا المعنى هو الذي أشارَ إليه البخاريُّ في «صحيحه» لمَّا بَوَّبَ على هذا الحديث «باب ما يُكره أن يكون الغالبُ على الإنسانِ الشَّعرُ». وقد قيل في تأويله: إنَّ المرادَ بذلك

(١) قبلها في (م): له.

(٢) قبلها في (م): قلت.

(٣) قبلها في النسخ: حتى. وهي ليست في لفظ الحديث كما سلف.

(٤) الصَّحاح (ورى).

(٥) من قوله: قال علماؤنا... إلى هذا الموضع من المفهم ٥٢٨/٥ - ٥٢٩.

(٦) التمهيد ١٩٦/٢٢.

الشَّعْرُ الَّذِي هُجِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ غَيْرُهُ. وهذا ليس بشيء؛ لأنَّ القليلَ من هَجْوِ النَّبِيِّ ﷺ وكثيره سواءٌ في أنَّه كفرٌ ومذموم، وكذلك هَجْوُ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ من المسلمين مُحَرَّمٌ قَلِيلُهُ وكثيره، وحيثُ لا يكون لتخصيص الدَّمِّ بالكثير معنى^(١).

الرابعة: قال الشافعي: الشَّعْرُ نَوْعٌ مِنَ الْكَلَامِ، حَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ، وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ، يَعْنِي أَنَّ الشَّعْرَ لَيْسَ يُكْرَهُ لِدَاثِهِ، وَإِنَّمَا يُكْرَهُ لِمُضْمَنَاتِهِ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ عَظِيمَ الْمَوْقِعِ؛ قَالَ الْأَوَّلُ مِنْهُمْ:

وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ^(٢)

وقال النبي ﷺ في الشَّعْرِ الَّذِي يَرُدُّ بِهِ حَسَّانٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ: «إِنَّهُ لَأَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(٣). وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ^(٤) وَصَحَّحَهُ عَنْ أَنَسٍ^(٥) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقِضَاءِ وَعَبَدَ اللَّهَ بُنْ رَوَاحَةَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الْهَمَّ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ، فِي حَرَمِ اللَّهِ، وَبَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهُوَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ»^(٦).

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾ لَمْ يَخْتَلَفِ الْقُرَّاءُ فِي رَفْعِ «وَالشُّعْرَاءُ» فِيمَا عَلِمْتُ. وَيَجُوزُ النَّصْبُ عَلَى إِضْمَارِ فَعْلٍ يُفْسَرُهُ «يَتَّبِعُهُمُ»^(٧)، وَبِهِ قَرَأَ

(١) المفهم ٥٣٠/٥.

(٢) عجز لبيت، صدره: ولو عن ثنا غيره جلهني. قائله امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص ١٨٥. والثنا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن وسبق. اللسان (ثنا).

(٣) في صحيحه (٢٤٩٠).

(٤) في سننه (٢٨٤٧).

(٥) تحرف في النسخ إلى: ابن عباس.

(٦) من بداية المسألة إلى هذا الموضع من أحكام القرآن لابن العربي ١٤٢٩/٣.

(٧) إعراب القرآن ١٩٦/٣.

عيسى بن عمر؛ قال أبو عبيد: كان الغالب عليه حبُّ النصب؛ قرأ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨] و﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] و﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ [النور: ١]. وقرأ نافعٌ وشيبةٌ والحسن والسلمي: «يَتَّبِعُهُمْ»^(١) مُخَفَّفًا. الباقر «يَتَّبِعُهُمْ»^(٢). وقال الضَّحَّاك: تهاجى رجلان أحدهما أنصاريٌّ والآخر مهاجريٌّ على عهد رسول الله ﷺ، مع كل واحدٍ غواةٌ قومه وهم السفهاء، فنزلت. وقاله ابن عباس^(٣). وعنه: هم الرواة للشعر^(٤). وروى عنه علي بن أبي طلحة أنهم هم الكفار يَتَّبِعُهُمْ ضُلَّالُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ. وقد ذكرناه. وروى غُصَيْفٌ عن النبي ﷺ: «من أحدث هجاء في الإسلام فاقطعوا لسانه»^(٥). وعن ابن عباسٍ أَنَّ النبي ﷺ لَمَّا افْتَتَحَ مَكَّةَ رَنَّ إِبْلِيسُ رَنَّةً وَجَمَعَ إِلَيْهِ ذُرِّيَّتَهُ، فقال: «ايشوا أن تُريدوا أمةَ محمدٍ على الشُّركِ بعدَ يومكم هذا، ولكن أفسوا فيهما - يعني مكة والمدينة - الشُّعْرُ»^(٦).

السادسة: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يقول: في كل لغوٍ يخوضون^(٧)، ولا يَتَّبِعُونَ سَنَنَ الْحَقِّ؛ لَأَنَّ مَنْ اتَّبَعَ الْحَقَّ وَعَلِمَ أَنَّهُ يُكْتَبُ عَلَيْهِ مَا يَقُولُهُ تَبَيَّنَتْ، ولم يكن هائماً يذهبُ على وجهه لا يُبالي ما قال^(٨). نزلت في عبد الله ابن الزُبَيْرِ ومُسَافِعِ بن عبد مناف وأمية بن أبي الصلت^(٩).

(١) الشاذة ص ١٠٨، والكشاف ١٣٣/٣.

(٢) المحرر الوجيز ٢٤٦/٤. وقراءة نافع في السبعة ص ٤٧٤، والتيسير ص ١١٥.

(٣) أخرجه عنهما الطبري ٦٧٥/١٧.

(٤) أخرجه الطبري ٦٧٣/١٧.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ١٨/٦٦١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/١٢٣: فيه إسحاق بن أبي فروة، وهو متروك.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٣١٨)، وفيه: «التَّوْح» بدل «الشُّعْر». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣/٣: رجاله موثقون.

(٧) أخرجه الطبري ٦٧٦/١٧ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ونقله الماوردي في النكت والعيون ٤/١٩٠ عن قطرب.

(٨) إعراب القرآن ٣/١٩٦.

(٩) المحرر الوجيز ٢٤٦/٤.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ يقول: أكثرهم يكذبون، أي: يدلُّون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه. وقيل: إنها نزلت في أبي عَزَّة الجُمَحِي حيث قال:

أَلَا أبلغا عني النبيَّ محمداً بأنَّكَ حقٌّ والمليكُ حميدُ
ولكنْ إذا دُكِّرْتُ بذراً وأهلَهُ نَأوَةٌ منِّي أعظمُّ وجُلودُ^(١)

ثم استثنى شعر المؤمنين: حسان بن ثابت وعبد الله بن رَوَاحَة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان على طريقهم من القول الحق، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في كلامهم^(٢) ﴿وَأَنصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ وإنما يكون الانتصار بالحق، وبما حذَّه الله عزَّ وجلَّ، فإن تجاوزَ ذلك فقد انتصرَ بالباطل^(٣). وقال أبو الحسن البرَّاد^(٤) لَمَّا نَزَلَتْ: «والشُّعراء»: جاءَ حسان وكعب بن مالك وابن رَوَاحَة ليكون إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا نبيَّ الله، أنزلَ الله تعالى هذه الآية، وهو تعالى يعلمُ أَنَا شُعراء؟ فقال: «اقرأوا ما بعدها: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - الآية - أنتم ﴿وَأَنصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ أنتم»^(٥) أي: بالردِّ على المشركين.

قال النبي ﷺ: «انْتَصَرُوا وَلَا تَقُولُوا إِلَّا حَقًّا، وَلَا تَذْكُرُوا الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ» فقال حسان لأبي سفيان:

هجوتُ محمداً فأجبتُ عنه وعندَ اللهِ في ذاك الجزاءُ
وإنَّ أباي ووالدتي وعرضي لعِرضِ محمدٍ منكم وِقَاءُ
أتشتمُّه ولستَ له بِكُفءٍ فشركُما خيرُكما الفِداءُ

(١) البیتان فی طبقات فحول الشعراء ٢١/٢٥٣-٢٥٤، وجمهرة الأمثال ٢/٣٨٧.

(٢) تفسير أبي الليث ٢/٤٨٧.

(٣) إعراب القرآن ٣/١٩٦.

(٤) واسمه سالم مولى تميم الداري كما وقعت تسميته في رواية الطبري، وقد ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/٣٥٦. وتحرف في النسخ إلى: المبرد.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٨/٥١٨، والطبري ١٧/٦٨٢.

لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تُكدره الدلاء^(١)
 وقال كعب: يا رسول الله، إن الله قد أنزل في الشعر ما قد علمت، فكيف ترى فيه؟ فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يُجاهد بنفسه وسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل»^(٢).

وقال كعب:

جاءت سخينة كي تُغالب ربها وليُغلبن مُغالب الغلاب
 فقال النبي ﷺ: «لقد مدحك الله يا كعب في قولك هذا»^(٣).

وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ بَتِّعُهُمْ أَفْقَاؤُن﴾: منسوخ بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٤). قال المهدوي: والصحيح^(٥) عن ابن عباس أنه استثناء.

﴿وَسِعَلُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْفِلُونَ﴾ في هذا تهديد لمن انتصر بظلم^(٦). قال شريح^(٧): سيعلم الظالمون كيف يخلصون من بين يدي الله عز وجل؛ فالظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النصرة. وقرأ ابن عباس: «أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْفِلَتُونَ» بالفاء والتاء^(٨)، ومعناها واحد. ذكره الثعلبي^(٩).

(١) الآيات في السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٢٤.

(٢) أخرجه أحمد (٢٧١٧٤) من حديث كعب بن مالك ؓ.

(٣) أخرجه الحاكم ٣/ ٤٨٩ من حديث البراء بن عازب ؓ بنحوه. والسخينة: طعام حار يصنع من دقيق وسمن، أغلظ من الحساء، وأرق من العصيدة. اللسان (سخن).

(٤) ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٧٢. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٧١)، وأبو داود (٥٠١٦) من طريق عكرمة، عن ابن عباس ؓ.

(٥) في (م): وفي الصحيح.

(٦) إعراب القرآن ٣/ ١٩٦.

(٧) قوله: «قال شريح» من (م).

(٨) زاد المسير ٦/ ١٥٢.

(٩) الشاذة ص ١٠٨. وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ١٥٢ عن ابن عباس وأبي بن كعب وأبي =

ومعنى: ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾: أَيُّ مصيرٍ يصيرون، وأَيُّ مَرْجِعٍ يرجعون؛ لأنَّ مصيرَهم إلى النَّار، وهو أَقْبَحُ مصير، ومرجعُهم إلى العقاب^(١) وهو شرُّ مَرْجِع. والفرق بين المُنْقَلَبِ والمَرْجِعِ أَنَّ المُنْقَلَبَ الانتقالُ إلى ضِدِّ ما هو فيه، والمَرْجِعُ العَوْدُ من حالٍ هو فيها إلى حالٍ هو فيها إلى حالٍ كان عليها، فصار كلُّ مرجعٍ مُنْقَلَباً، وليس كلُّ مُنْقَلَبٍ مرجِعاً، والله أعلم، ذكره الماوردي^(٢). و«أَيُّ» منصوبٌ بـ «يَنْقَلِبُونَ» وهو بمعنى المصدر، ولا يجوز أن يكون منصوباً بـ «سَيَعْلَمُ» لأنَّ أَيّاً وسائرَ أسماءِ الاستفهام لا يعملُ فيها ما قبلها فيما ذكر النحويُّون؛ قال النَّحَّاس: وحقيقة القول في ذلك أنَّ الاستفهام معنَى وما قبله معنَى آخر، فلو عملَ فيه ما قبله لدَخَلَ بعضُ المعاني في بعض^(٣).

= العالية، وأبي مجلز، وأبي عمران الجوني، وعاصم الجحدري.

(١) في (م): العقاب.

(٢) في النكت والعيون ١٩١/٤.

(٣) إعراب القرآن ١٩٦/٣.